



مُؤْمِنونْ بِالْأَدَبِ

Mominoun Without Borders

الدراسات والابحاث

www.mominoun.com

الرهانات المعاصرة للنزعـة الإنسـانية في الفكر الفلـسفـي الإـسـلامـي

زهير بورهـة

باحث مغربي

20
25

▪ بحث مدعى
▪ قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية
▪ 2025-05-15

الرهانات المعاصرة للنزعه الإنسانية
في الفكر الفلسفه الإسلامي

ملاطف:

نحاول في هذا البحث أن نقدم صورة عن النزعة الإنسانية في الثقافة العربية الإسلامية إبان عصور ازدهارها، متبعين تمظهرها في مجال الفلسفة والتصوف، مهتمين بالتصور الفلسفى الحديث؛ فالمتأمل في الفلسفة الحديثة سيلحظ أن عصبها هو النزعة الإنسانية أو الذاتية التي بلغت ذروة انتصارها وخطرها كما يرى هيدغر Martin Heidegger في النزعة التقنية، حيث تحقق هذا الانتصار المزعوم على حساب إنسانية الإنسان، فكان عنوان العصر الذي نعيش فيه هو العجز واليأس، والاغتراب الناتج عن ضياع العلاقة الأصلية بالوجود¹. هذه الحالة التراجيدية فتحت الباب على مصراعيه للبحث في سبل إعادة تسكين الإنسان في عالمه بعد أن اغترب عنه. وفي هذا السياق، تأتي هذه الدراسة لتميط اللثام عن صورة من صور النزعة الإنسانية التي لعل وقعتها على الإنسان المعاصر كان ليكون مختلفاً عما نراه اليوم، لو لم يتم إجهاض إمكاناتها.

¹ عبد الغفار مكاوي، *مقدمة نداء الحقيقة*، تأليف مارتن هيدغر، دار الثقافة، القاهرة 1977، ص 163

مقدمة:

لقد ساد اعتقاد أريد له أن يسود من طرف المستشرقين الغربيين مفاده أن النزعـة الإنسـانية لم تظهر إلا في الفكر الغربي مع عصر النهـضة؛ أي إنـها شأن خـاص بالـحضـارة الغـربـية. لكن ما يـغـيب عن ذـهن هـؤـلـاء أو يـتـغـاضـون عنـه لأسبـاب سيـاسـية أـيدـيـولـوـجـية مـتـعـلـقـة بـالـمـركـزـية الأـورـوبـية، هو أنـ الثقـافـة العـرـبـية الإـسـلامـية _ كما سـيـتـبـين فيـ هـذـه الـدـرـاسـة _ كـانـت قد عـرـفـت فيـ أـوـجـها النـزعـة الإنسـانية عـلـى المـسـتـوـي النـظـري وـالـعـمـلي مـعـا. لكنـ بـعـد أـفـولـ النـزعـة العـقـلـانـية المـتـمـثـلـة فيـ الأـدـبـ وـالـفـلـسـفـةـ وـالـتـصـوـفـ لـصـالـحـ النـزعـاتـ الـأـرـثـوذـوكـسـيةـ الـجـامـدـةـ الـتـيـ تـغـذـيـ الـحـرـكـاتـ الـأـصـولـيـةـ،ـ بـدـأـتـ الـحـضـارـةـ تـخـطـوـ خـطـوـاتـهاـ الـأـوـلـىـ فيـ طـرـيقـ الـانـحـطـاطـ،ـ فـأـفـلتـ النـزعـةـ الإنسـانيةـ بـأـفـولـ النـزعـةـ العـقـلـانـيةـ الـتـيـ كـانـتـ تـغـذـيـهـاـ؛ـ لـأـنـ «ـاـنـتـشـارـ النـزعـةـ الإنسـانيةـ مـرـتـبـطـ باـزـدـهـارـ النـزعـةـ العـقـلـانـيةـ»².

ولـذـكـرـ نـرـدـ عـلـىـ هـؤـلـاءـ بـالـقـوـلـ،ـ إـنـ جـوـهـرـ النـزعـةـ الإنسـانيةـ هوـ إـلـيـسـانـ بـصـفـتـهـ مـرـكـزاـ لـلـمـعـرـفـةـ وـالـقـيـمـ وـحـرـكـةـ التـارـيـخـ،ـ أـوـ بـالـأـحـرـىـ هوـ إـنـسـانـيـةـ إـلـيـسـانـ مـنـ حـيـثـ حـرـيـتـهـ وـكـرـامـتـهـ،ـ وـأـنـ الـاعـتـرـافـ بـمـرـكـزـيـةـ إـلـيـسـانـ يـتـحـدـدـ بـشـرـوـطـ تـمـلـيـاـتـ الـمـعـطـيـاتـ الـثـقـافـيـةـ وـالـفـكـرـيـةـ الـخـاصـةـ بـكـلـ حـضـارـةـ تـارـيـخـيـةـ.ـ وـبـالـتـالـيـ،ـ فـالـنـزعـةـ إـنـسـانـيـةـ لـيـسـتـ وـاحـدـةـ كـمـ تـحـاـوـلـ الـثـقـافـةـ الـغـرـبـيـةـ وـأـيدـيـولـوـجـيـوـهـاـ،ـ بـفـعـلـ الـهـيـمـنـةـ الـاسـتـعـمـارـيـةـ وـالـسـلـطـةـ الـعـلـمـيـةـ،ـ تـمـرـيـرـهـ وـتـرـسـيـخـهـ فيـ الـأـذـهـانـ.ـ وـلـنـاـ أـنـ نـقـولـ أـيـضاـ مـعـ هـيـدـغـرـ إـنـهـ إـذـاـ كـانـ نـفـهـمـ مـنـ النـزعـةـ إـنـسـانـيـةـ بـوـجـهـ عـامـ ذـلـكـ الـجـهـدـ الـمـبـذـولـ لـجـعـلـ إـلـيـسـانـ حـرـًـاـ مـنـ أـجـلـ إـنـسـانـيـتـهـ،ـ وـإـلـىـ تـمـكـيـنـهـ مـنـ اـكـتـشـافـ كـرـامـتـهـ،ـ فـإـنـ النـزعـاتـ إـنـسـانـيـةـ سـتـخـتـلـفـ حـسـبـ التـصـورـ الـذـيـ يـكـونـ لـدـيـنـاـ عـنـ «ـالـحـرـيـةـ»ـ وـ«ـالـطـبـيـعـةـ إـنـسـانـيـةـ»ـ؛ـ أـيـ إـنـ النـزعـةـ إـنـسـانـيـةـ،ـ كـلـ نـزعـةـ إـنـسـانـيـةـ مـرـتـبـطـةـ بـتـأـوـيلـ مـعـيـنـ لـلـإـلـيـسـانـ³.

وـإـذـ كـانـ نـفـرـكـ فيـ النـزعـةـ إـنـسـانـيـةـ فيـ الـثـقـافـةـ الـعـرـبـيـةـ إـلـيـسـلامـيـةـ كـتـأـوـيلـ مـمـكـنةـ لـلـإـلـيـسـانـ،ـ فـلـيـسـ لـأـنـاـ نـرـىـ فـيـ هـذـهـ التـأـوـيلـ بـدـيـلاـ مـمـكـناـ عـنـ النـزعـةـ إـنـسـانـيـةـ الـغـرـبـيـةـ،ـ وـإـنـماـ نـشـيرـ إـلـىـ أـنـهـ يـنـطـوـيـ عـلـىـ رـهـانـاتـ كـانـ مـنـ شـأـنـهاـ أـنـ تـسـدـ ثـغـرـاتـ النـزعـةـ إـنـسـانـيـةـ الـغـرـبـيـةـ؛ـ ذـلـكـ أـنـ هـذـهـ الـأـخـرـىـ كـمـ يـصـرـ هـيـدـغـرـ نـفـسـهـ «ـلـاـ تـضـعـ إـنـسـانـيـةـ إـلـيـسـانـ فيـ مـقـامـ أـرـفـعـ»⁴ـ،ـ أـوـ بـالـأـحـرـىـ تـقـدـمـ تـأـوـيلـاـ أـدـاتـيـاـ حـسـابـيـاـ تـقـنـيـاـ لـلـإـلـيـسـانـ،ـ وـهـوـ تـأـوـيلـ اـنـتـهـىـ بـالـحـطـ مـنـ قـيـمـةـ إـلـيـسـانـ عـنـدـمـاـ تـمـ اـخـتـرـالـهـ فـيـمـاـ هـوـ شـيـئـيـ اـسـتـهـلـاـكـ؛ـ فـصـارـ قـابـلـاـ لـلـإـتـاجـ وـالـتـسـوـيـقـ،ـ عـبـدـاـ لـلـتـقـنـيـةـ،ـ حـتـىـ أـضـحـتـ سـعـادـةـ إـلـيـسـانـ لـاـ تـنـفـكـ عـنـ السـلـعـةـ الـتـيـ أـنـتـجـهـاـ قـبـلـ أـنـ يـصـيرـ عـبـدـاـ لـهـاـ.

2 أـرـكـونـ،ـ نـزعـةـ إـنـسـانـيـةـ فـيـ فـكـرـ الـعـرـبـيـ،ـ جـيلـ مـسـكـوـيـهـ وـالـتـوـحـيـدـيـ،ـ تـرـجـمـةـ هـاشـمـ صـالـحـ،ـ دـارـ السـاقـيـ،ـ طـ1ـ،ـ 1997ـ،ـ صـ14ـ

3 Martin Heidegger, Lettre sur L'humanisme, Questions III et IV, Traduit par Roger Munier, Gallimard, 1990, p76

4 هـيـدـغـرـ،ـ رـسـالـةـ فـيـ النـزعـةـ إـنـسـانـيـةـ،ـ تـرـجـمـةـ مـيـنـةـ جـالـلـ،ـ مـجـلـةـ مـدـارـاتـ فـلـسـفـيـةـ،ـ العـدـدـ6ـ،ـ الـجـمـعـيـةـ الـفـلـسـفـيـةـ الـمـغـرـبـيـةـ،ـ 2008ـ،ـ صـ57ـ

من هنا، تقوم هذه الدراسة على فرضيتين: الأولى هي أن النزعـة الإنسـانية لم تكن ظاهرة فكرية ظهرت فجـأة، وإنـما خـضـعت لـسلـسلـة طـوـيـلة من التـشـكـلـ، وـمـرـتـ من مـراـحـلـ مـخـتـلـفـةـ، وـعـرـفـتـ صـوـرـاـ مـتـنـوـعـةـ، إـنـها بـنـاءـ أـقـامـهـ الـفـلـاسـفـةـ لـبـنـةـ لـبـنـةـ بـجـهـوـدـهـمـ الـدـوـبـوـبـةـ، وـدـعـمـوـهـ بـعـطـائـهـمـ الـمـتـوـاـصـلـ، وـقـدـ كـانـ لـلـقـاـفـةـ الـعـرـبـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ الـقـدـيـمـةـ دـوـرـهـاـ وـطـرـيـقـتـهـ الـخـاصـةـ فـيـ هـذـاـ التـشـكـلـ، وـهـوـ الدـورـ الـذـيـ تـسـعـيـ هـذـهـ الـدـرـاسـةـ إـلـىـ اـسـتـجـلـائـهـ وـبـيـانـ طـبـيـعـتـهـ فـيـ مـجـالـ الـفـلـسـفـيـ وـالـصـوـفـيـ الـإـسـلـامـيـنـ، فـنـدـرـسـ خـصـائـصـ الـنـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ فـيـ كـلـ مـجـالـ عـلـىـ حـدـدـ، عـبـرـ تـبـيـنـ مـرـكـزـيـةـ الـإـنـسـانـ وـمـحـورـيـتـهـ، سـوـاءـ فـيـ مـجـالـ الـفـلـسـفـةـ عـبـرـ طـغـيـانـ تـمـجـيـدـ الـعـقـلـ أـوـ فـيـ مـجـالـ الـصـوـفـيـ مـنـ خـلـالـ طـغـيـانـ تـمـجـيـدـ الـرـوـحـ. وـالـثـانـيـةـ أـنـ الـبـحـثـ فـيـ الـنـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ فـيـ الـقـاـفـةـ الـعـرـبـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ يـسـتـشـرـفـ آـفـاـقاـ مـخـالـفـةـ لـأـفـاـقاـ الـنـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ فـيـ الـقـاـفـةـ الـغـرـبـيـةـ، فـإـذـاـ كـانـتـ هـذـهـ الـأـخـيـرـةـ اـنـتـهـتـ إـلـىـ طـرـيـقـ مـسـدـوـدـ، عـنـوـانـهـ الـعـرـيـضـ هـوـ نـقـدـ الـنـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ لـتـجـاـزـوـزـ الـاـغـرـابـ الـذـيـ أـضـحـىـ الـإـنـسـانـ الـمـعـاـصـرـ قـابـعـاـ فـيـهـ، فـإـنـ مـنـ خـصـائـصـ الـنـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ فـيـ الـقـاـفـةـ الـعـرـبـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ أـنـ يـظـلـ الـإـنـسـانـ سـاـكـنـاـ فـيـ عـالـمـهـ، مـاـسـكـاـ بـمـعـنـىـ كـيـنـوـنـتـهـ، مـحـافـظـاـ عـلـىـ الـطـابـ الـسـحـرـيـ لـوـجـوـدـهـ.

وبـنـاءـ عـلـيـهـ، فـإـنـ قـيـاسـ حـجمـ الـرـهـانـاتـ الـمـعـاـصـرـةـ لـلـنـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ فـيـ ثـقـافـتـنـاـ الـعـرـبـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ، رـهـينـ بـقـيـاسـ وـمـسـحـ نـتـائـجـ الـنـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ فـيـ ثـقـافـةـ الـغـرـبـيـةـ الـحـدـيـثـةـ وـالـوـضـعـ الـمـأـسـاوـيـ الـذـيـ اـنـتـهـتـ إـلـيـهـ، وـبـالـتـالـيـ ضـبـطـ تـلـكـ الـأـزـمـاتـ الـتـيـ تـمـخـضـ عـنـهـاـ هـذـاـ الـوـضـعـ، حـتـىـ يـصـبـحـ فـيـ مـكـنـونـنـاـ رـسـمـ خـطـوـتـ الـنـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ فـيـ ضـوـءـ الـحـلـولـ الـتـيـ كـانـ مـنـ الـمـمـكـنـ مـنـ خـلـالـهـاـ أـنـ نـتـجـاـزـوـزـ هـذـهـ الـأـزـمـاتـ. فـمـاـ هـيـ الـنـتـائـجـ الـسـلـبـيـةـ الـتـيـ اـنـتـهـتـ إـلـيـهـاـ الـنـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ فـيـ الـحـدـاثـةـ الـغـرـبـيـةـ؟ وـكـيـفـ تـمـخـضـ التـأـوـيلـ الـفـلـسـفـيـ الـغـرـبـيـ عنـ هـذـهـ الـنـتـائـجـ؟ ثـمـ مـاـ هـيـ رـهـانـاتـ التـأـوـيلـ الـفـلـسـفـيـ الـتـيـ كـانـ مـنـ شـأنـ الـفـكـرـ الـإـسـلـامـيـ أـنـ يـقـدـمـهاـ لـلـنـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ لـوـلـ إـجـهـاضـ مـمـكـنـاتـهـ؟

لـلـإـجـابـةـ عـنـ هـذـهـ الـأـسـئـلـةـ، وـقـمـاشـيـاـ مـعـ طـبـيـعـةـ الـمـوـضـوـعـ، تـمـ تـقـسـيـمـ هـذـهـ الـبـحـثـ إـلـىـ مـبـحـثـيـنـ: خـصـصـ الـأـوـلـ لـتـعـرـيفـ الـنـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ كـمـاـ هـوـ مـتـعـارـفـ عـلـيـهـ فـيـ الـخـطـابـ الـفـلـسـفـيـ الـحـدـيـثـ، مـعـ الإـشـارـةـ إـلـىـ أـسـسـهـاـ الـفـلـسـفـيـةـ، وـمـنـ ثـمـ تـتـرـقـ إـلـىـ تـلـكـ الـأـزـمـاتـ الـتـيـ اـجـتـمـعـ حـولـهـاـ الـخـطـابـ الـفـلـسـفـيـ الـمـعـاـصـرـ فـيـ نـقـدـهـ لـلـنـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ الـغـرـبـيـةـ. أـمـاـ الـمـبـحـثـ الـثـانـيـ، فـقـدـ تـعـرـضـنـاـ فـيـهـ إـلـىـ نـمـاذـجـ فـكـرـيـةـ فـيـ عـصـرـ اـزـدـهـارـ الـقـاـفـةـ الـعـرـبـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ، وـيـتـعـلـقـ الـأـمـرـ بـتـتـبـعـ خـيـوـطـ الـخـطـابـ الـفـلـسـفـيـ وـالـصـوـفـيـ الـلـوـقـوـفـ عـنـدـ تـلـكـ الـأـسـسـ الـتـيـ رـسـمـتـ حـدـودـ الـنـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ. وـسـيـلـحـظـ الـقـارـئـ أـنـاـ لـمـ نـقـمـ بـإـجـرـاءـ أـيـ مـقـارـنـةـ بـيـنـ الـنـزـعـتـيـنـ الـعـرـبـيـةـ وـالـغـرـبـيـةـ، فـذـلـكـ مـتـرـوـكـ لـهـ، ثـمـ إـنـ الـغـاـيـةـ مـنـ هـذـهـ الـدـرـاسـةـ لـيـسـ هـوـ الـتـبـاـكـيـ عـلـىـ الرـسـوـمـ أـوـ الـتـعـالـيـ الـمـوـهـومـ، بلـ إـظـهـارـ ذـلـكـ الـدـرـسـ الـإـنـسـانـيـ الـذـيـ لـوـ كـتـبـ لـهـ النـجـاحـ لـخـلـفـ نـتـائـجـ مـخـتـلـفـةـ عـمـاـ هـوـ مـشـهـودـ الـيـوـمـ.

هـذـاـ وـقـمـاشـيـاـ مـعـ طـبـيـعـةـ الـدـرـاسـةـ، كـانـ الـمـنـهـجـ الـمـتـبـعـ فـيـ هـذـهـ الـمـبـاحـثـ هـوـ مـنـهـجـ نـقـدـيـ تـحـلـيـلـيـ يـعـنـىـ بـتـقـرـيـبـ الـمـفـاهـيمـ الـمـسـتـغـلـقـةـ عـلـىـ الـفـهـمـ وـوـضـعـهـاـ فـيـ سـيـاقـهـاـ الـفـلـسـفـيـ، مـعـ الـغـوـصـ فـيـ طـيـاـتـ الـنـصـوصـ عـلـىـ

أمل أن تكون الصورة واضحة، سواء بالنسبة إلى النزعة الإنسانية الغربية أو النزعة الإنسانية العربية، فلا يحتج القارئ جراء ذلك إلى بذل مجهود كبير في تبيان عناصر الإشكالية وخيوطها.

١. النتائج السلبية للنزعه الإنسانية الغربية

إن الحديث عن النزعة الإنسانية في الفكر الفلسفية الحديثة، هو الحديث عن ذلك التيار الفكري الذي يتخذ من الإنسان -كذات عاقلة حرة ومريدة- مركزاً لتفكيره، فيخصّه بمكانة متميزة في العالم.⁵ وقد تحدّدت ماهية الإنسان داخل هذا التيار بوصفه كياناً ميتافيزيقياً يشغل الفراغ الذي خلفه انسحاب الإله من العالم، ومن ثم اكتسب صفات لم تكن لتنسب في العصور القديمة إلا للذات الإلهية؛ فهو معيار الوجود، أي إن كل ما هو موجود يجد سند وجوده في معرفة الإنسان به وتصوره له⁶، ثم هو المقياس الأساسي لإنتاج المعنى، والمرجع الوحيد الحاسم في المعرفة والقيم، والمotor الأساسي الذي يؤثر في الأشياء ويوجه مسار التاريخ.⁷ فالنزعة الإنسانية إذن، تقوم على تأليه الإنسان وأسطرة العقل، فيكون الإنسان بذلك هو مركز العالم، والقوة الفاعلة الوحيدة في الكون.⁸

لا نريد بهذا التعريف للنزعه الإنسانية إلا الوقوف عند أساسها الفلسفى الذى يمحجه حازت على شرعية إبستيمولوجية؛ فصحيح أن النزعه الإنسانية قديمة قدم الفكر الذى يجعل الإنسان محوراً له، غير أنه بداية مع العصر الحديث خاصة في انطلاقته الديكارتية، أصبحت هي قوام الفلسفة، والفلك الذى يدور حوله كل الفلاسفة، مما أكسبها بعدها الجوهرى الذى لا يستقيم تعريف النزعه الإنسانية من دونه، ونقصد بعد العقلاني الذى دشنه ديكارت (René Descartes) وسار على نهجه الفلاسفة بعده. فمع ديكارت أصبح الكوجيتو هو الدعامة الأساسية لوجود الإنسان، وما الكوجيتو إلا اختزال الإنسان في العقل والفكر، ومن ثم يصبح العقل هو جوهر الإنسان، وهو أعدل قسمة بين جميع الناس كقوه فطرية، الشيء الذى كان من نتائجه تراجع قيمة البدن الذى لم يعد إلا شراكة عضوية بين الإنسان والحيوان، وتراجع قيمة الروح التي لم تعد وسيلة اتصال بين الإنسان والرب، ما دام أن كل اليقينيات ليس لها مصدر غير الإنسان العاقل نفسه. وبالوصول إلى عصر كانط Emmanuel Kant، ظهر أن ذلك الفضاء الرحب الذى كان الإنسان يلتقي فيه بالذات الإلهية صار معزولاً عن كل تدخل إلهي، ونعني فضاء الأخلاق، حيث لم يعد الفعل خيراً، إلا إذا اتفق مع الواجب، ولا يكون الواجب فعلاً أخلاقياً، إلا إذا كان مصدره العقل.

⁵ عبد الرزاق الدوای، موت الإنسان في الخطاب الفلسفى المعاصر (هيدغر ستروس فوكو)، دار الطليعة، بيروت، ط١، 1992، ص 191

⁶ محمد أحمد سليمان، *هيدغر الوجود والموجود*، إشراف عبد الحميد عطية، دار التدوير للطباعة، 2009. ص 15

⁷ محمد الشيكري، هيدغر وسؤال الحادثة، افتريقا الشرق، المغرب، دط، 2015، ص 17

⁸ Edgar Morin, *Penser l'Europe*, Gallimard, actuel, Paris, 1992, p101

لقد انعكس هذا التصور للنزعـة الإنسـانية على الحياة العامة للإنسـان المعاصر، حيث تحـول ذلك التـقدم والازدهـار الذي كانت الفلـسـفة تعدـ به الإنسـان إلى مفـاهـيم مـناـقـضـة؛ من قـبـيل اليـأس والـتشـيـؤ والـاغـرـاب والـسـقوـط والـانـحـاطـاط، وهي مـفـاهـيم اجـتـمـعـ حولـها تـيـارـ وـاسـعـ من الفلـسـفة المـعاـصرـة، يـسـتحقـ أنـ نـطـلـقـ عـلـيـهـ تـيـارـ «مـوـتـ الإنسـانـ»، والـذـيـ هوـ تـرـمـيـزـ لـذـلـكـ الـوـهـمـ الذـيـ كـانـ تـتـغـذـىـ عـلـيـهـ الفلـسـفةـ الـحـدـيـثـةـ عـنـدـمـاـ دـارـتـ أـبـحـاثـهـاـ حـولـ الإنسـانـ بـمـاـ هوـ وـعـيـ وـحـرـيـةـ وـإـرـادـةـ. وـقـدـ أـشـارـ هـذـاـ التـيـارـ إـلـيـ مـجـمـوعـةـ أـزـمـاتـ أـدـتـ إـلـيـهـاـ النـزعـةـ الإنسـانـيـةـ، نـذـكـرـ أـهـمـهـاـ:

أـزـمـةـ الإـيمـانـ وـانـهـيـارـ الـأـخـلـاقـ

لقد تم تـرـسيـخـ مـرـكـزـيـةـ الإنسـانـ فيـ الفـكـرـ الغـرـبـيـ الـحـدـيـثـ عـبـرـ خـلـقـ قـطـيـعـةـ مـعـ الإـرـثـ الفـكـرـيـ الذـيـ كـانـ يـتـمـحـورـ حـولـ الذـاتـ الإـلـهـيـةـ، وـقـدـ نـتـجـ عـنـ ذـلـكـ، خـلـالـ عـصـرـ التـنـوـيرـ، بـعـدـ صـرـاعـ طـوـيلـ حـولـ السـلـطـةـ بـيـنـ الـدـوـلـةـ الـعـلـمـانـيـةـ وـالـكـنـيـسـةـ، إـرـسـاءـ مـبـدـأـ الـفـصـلـ بـيـنـ الـدـيـنـ وـالـدـوـلـةـ، وـهـوـ الـفـصـلـ الذـيـ ظـهـرـ فـيـهـ أـنـ الـدـوـلـةـ قـدـ اـنـتـصـرـتـ فـيـ صـرـاعـهـاـ إـلـىـ الـحـدـ الذـيـ تـقـلـصـتـ فـيـهـ أـدـوـارـ الـكـنـيـسـةـ لـتـقـتـصـرـ عـلـىـ إـضـفـاءـ الـمـشـرـوـعـيـةـ الـأـخـلـاقـيـةـ عـلـىـ الـدـوـلـةـ مـقـابـلـ اـمـتـيـازـاتـ مـحـدـودـةـ. إـنـ هـذـاـ التـحـولـ الذـيـ وـجـدـ لـهـ صـدـىـ فـيـ الـفـلـسـفـةـ الـحـدـيـثـةـ أـسـهـمـ بـشـكـلـ غـيرـ مـبـاـشـرـ فـيـ تـهـمـيـشـ الـبـعـدـ الـرـوـحـيـ لـلـإـنـسـانـ لـصـالـحـ هـيـمـنـةـ الـبـعـدـ الـعـقـلـانـيـ الـمـادـيـ، أـوـ بـالـأـخـرـ تـمـ تـشـطـيرـ الـإـنـسـانـ، لـكـنـ تـرـاجـعـتـ السـيـادـةـ الـرـوـحـيـةـ لـصـالـحـ السـيـادـةـ الـمـادـيـةـ الـزـمـنـيـةـ.⁹

وـمـنـ الجـدـيـرـ بـالـهـتـمـامـ أـنـ نـسـجـلـ هـنـاـ نـقـطـةـ مـهـمـةـ، وـهـيـ أـنـ هـذـاـ التـجـاذـبـ حـولـ السـلـطـةـ انـعـكـسـ عـلـىـ الـفـلـسـفـاتـ السـائـدـةـ التـيـ عـجـزـتـ عـنـ إـقـامـةـ عـلـاقـةـ تـمـفـصـلـيـةـ جـدـيـدةـ بـيـنـ الـجـانـبـ الـرـوـحـيـ وـالـجـانـبـ الـمـادـيـ عـلـىـ شـاـكـلـةـ التـمـفـصـلـ الذـيـ نـجـدـهـ فـيـ الـثـقـافـةـ الـعـرـبـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ فـلـسـفـيـاـ وـصـوـفـيـاـ وـحـتـىـ أـدـبـيـاـ.¹⁰

بـعـبـارـةـ أـخـرـىـ، أـصـبـحـتـ الـفـلـسـفـةـ الـمـدـعـومـةـ مـنـ طـرـفـ الـدـوـلـةـ هـيـ دـيـنـ الـعـالـمـ الـجـدـيـدـ؛ عـاـمـ الـحـضـارـةـ الـصـنـاعـيـةـ وـالـحـدـاثـةـ الـوـضـعـيـةـ؛ فـقـدـ تـحـولـتـ الـفـلـسـفـةـ إـلـىـ سـلـطـةـ عـقـائـدـيـةـ عـلـيـاـ وـحـلـتـ بـذـلـكـ مـحـلـ الـلـاهـوـتـ الـمـسـيـحـيـ الذـيـ سـيـطـرـ عـلـىـ الـعـقـولـ طـيـلـةـ الـقـرـونـ الـوـسـطـىـ، وـفـيـ هـذـاـ السـيـاقـ يـجـبـ أـنـ نـفـهـمـ صـرـخـةـ نـتـشـهـ الـمـدـوـيـةـ «لـقـدـ مـاتـ إـلـهـ وـنـحـنـ قـتـلـنـاهـ»¹¹؛ فـنـتـشـهـ كـانـ شـاهـدـاـ عـلـىـ أـفـوـلـ الـاعـتـقـادـ الـمـسـيـحـيـ فـيـ ظـلـ الـدـوـلـةـ الـبـورـجـواـزـيـةـ الـصـنـاعـيـةـ الـرـأـسـمـالـيـةـ الـعـلـمـيـةـ؛ أـيـ كـانـ شـاهـدـاـ عـلـىـ تـرـاجـعـ الـإـيمـانـ الـمـسـيـحـيـ لـصـالـحـ الـعـقـلـانـيـةـ الـمـادـيـةـ؛ إـذـ تـحـولـتـ الـكـنـائـسـ إـلـىـ مـتـاحـفـ بـعـدـ أـنـ كـانـتـ تـعـجـ بـالـمـلـصـلـيـنـ¹². وـهـكـذـاـ تـبـرـأـ الـعـقـلـ مـنـ الـإـيمـانـ، وـأـصـبـحـتـ الـرـوـحـ عـقـلـانـيـةـ خـالـصـةـ أـوـ عـلـمـيـةـ مـحـضـةـ. لـذـلـكـ يـرـىـ فـيـبرـ Max Weberـ أـنـ الـعـقـلـانـيـةـ الـزـائـدـةـ هـيـ

9 محمد أركون، نـزعـةـ الـأـسـنـةـ فـيـ الـفـكـرـ الـعـرـبـيـ، صـ22

10 نفسـ الـمـرـجـعـ، صـ21-23

11 Friedrich Nietzsche, The Gay Science, Edit Bernard Williams, Trans Josefine Nauckhoff, Cambridge university press, New York, 2001, p119-120

12 محمد أركون، نـزعـةـ الـأـسـنـةـ فـيـ الـفـكـرـ الـعـرـبـيـ، صـ24

العامل الذى يمكن أن يقوض المجتمع الحديث، وهي عملية يشترك فيها النظام الرأسمالي والاشتراكى على السواء، هذه العقلانية تتجلى في التنظيم البيروقراطي الذى يستبعد التصورات السحرية عن العالم وعن الحياة الإنسانية¹³.

وبالنظر إلى المسألة من الجهة الأخلاقية، فإننا نسجل على النزعه الإنسانية الغربية إقصاها للعلاقات الإنسانية التضامنية بين الأفراد؛ ذلك أنها تقيم مذهبها على الذاتية الخالصة التي دشنها ديكارت، والتي يعبر عنها الكوجيتو الديكارتى «أنا أفكرا إذن أنا موجود»، وهذه الذاتية هي التي يدركها الإنسان في عزلته ووحدته أو ما يعبر عنه بمعضلة «السواليسىزم»؛ أي «أنا وحدي موجود». ولأن الكوجيتو يقصى الآخرين من حيث إنهم خارج الذات، فقد انعكس هذا على النزعه الإنسانية الغربية من جهة تكريسها للأمانة وللقومية وتمجيد الذات في نزعه نرجسية عنصرية إقصائية للأقوام الأخرى، أو بعبارة أخرى، صارت العلاقات الإنسانية بين الأفراد منظور إليها بوصفها علاقات مادية بين الأشياء؛ لأن العلم الحديث جعل نظرة البشر لأنفسهم ولغيرهم لا تختلف عن نظرتهم إلى الأشياء المادية¹⁴. وقد بدأ هذا التحول كما يرى ميشيل فوكو Michel Foucault من اللحظة التي أصبح فيها من الممكن للإنسان الوصول إلى الحقيقة في معزل عن الدين وفي معزل عن الأخلاق^{15*}، وقد بدأ هذا التحول مع ديكارت الذي حرر العقلانية العلمية من الأخلاق، فصارت رهينة بالوضوح والبداهة والإثبات المباشر¹⁶.

فمن السمات الجوهرية إذن، التي تكشف عن حقيقة أن النزعه الإنسانية الغربية هي إقصاء للإنسان باسم الإنسان مما يجعلها نزعه لا إنسانية؛ كونها لم تستطع أن تخلص نفوس الناس من عوامل العصبية والعنصرية، وأنّ لها ذلك وهي تغذى هذه العوامل؛ ففكرة تفوق البيض على السود، أو فكرة تفوق الجنس الأبيض على الجنس الهندي، أو نظرية تفوق الجنس الاري على الجنس السامي، هي كلها أفكار انتعشت في تربة النزعه الإنسانية الغربية وسادت كمذهب فلسفى في القرن التاسع عشر، وهو ما يجعل كل القيم الأخرى من قبيل التسامح والتعاون والقبول والحق والعدل والمساواة مجرد شعارات رنانة.

أزمة المعنى والقيم

إن أزمة المعنى وفقدان الهدف من الحياة وانتشار النزعات العدمية كان نتيجة حتمية لأزمة الإيمان والروح؛ فالحداثة الغربية التي تأسست نزعتها الإنسانية على شعار نزع الطابع السحري عن العالم، أقصت من تقدمها الحداثي تدخل الأديان، لكنها لم تستطع أن تقدم بديلاً رمزاً عن المهمة السحرية

13 عاطف أحمد، التوجه الإنساني (تحليل مفهومي تاريخي)، في: عاطف أحمد، النزعه الإنسانية (دراسات النزعه الإنسانية في الفكر العربي الوسيط)، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، ط2، 1999، ص32

14 إيان كريبي، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد حسين غلوم، عالم المعرفة، 1999، ص315

15* الخير والحقيقة غير مفصولان في العقلانية الإغريقية مثلاً؛ لأن المبدأ هو أن العارف بحقيقة الخير لا يستطيع أن يمارس الشر.

16 Michel Foucault, Dits et Ecrits 1980, NRF, Editions Gallimard, Paris, 1994, P410-411

التي ينهض بها الدين، ونقصد مهمة الموسـاة الـوجـودـية للـإـنـسـانـ، وـهـذـهـ المـهـمـةـ هيـ الجوـهـرـ الروـحـيـ الذيـ تـتوـحـدـ حـوـلـهـ كـلـ الـأـدـيـانـ، وـتـمـثـلـ فيـ منـحـ الـإـنـسـانـ الـمـعـنـىـ الـذـيـ يـفـقـدـهـ، وـإـعـطـائـهـ قـيـمـةـ لـحـيـاتـهـ، وـشـدـ أـزـرـهـ فيـ أـوـقـاتـ الـأـزـمـاتـ، وـتـهـدـئـةـ قـلـقـهـ الـدـاخـلـيـ، وـتـخـفـيفـ شـدـةـ وـطـأـةـ الـخـوـفـ منـ الـمـوـتـ، وـكـبـتـ الـمـخـزـونـ الـحـيـوـانـيـ فيـ أـعـمـاـقـ الـنـفـسـ الـإـنـسـانـيـ، وـلـجـمـ الـعـنـفـ؛ فـالـتـقـدـيسـ يـلـجـمـ الـعـنـفـ أـحـيـاـنـاـ وـيـدـجـنـهـ، كـمـ يـهـيـجـهـ وـيـحـمـسـ عـلـيـهـ أـحـيـاـنـاـ أـخـرـىـ¹⁷.

إن غـيـابـ التـقـدـيسـ لـلـرـوـحـ الـمـطـلـقـ كانـ منـ نـتـائـجـ تـرـاجـعـ النـشـاطـ التـأـمـلـيـ لـصـالـحـ النـشـاطـ الـعـمـلـيـ؛ أيـ تـرـاجـعـ الـاهـتـمـامـ بـالـعـالـمـ الـمـيـتـافـيـزـيـقـيـ (ـالـعـالـمـ الـأـخـرـوـيـ)ـ وـتـهـيـةـ الـنـفـسـ لـاستـحـقـاقـهـ، لـصـالـحـ الـعـالـمـ الـمـلـادـيـ (ـالـعـالـمـ الـدـنـيـوـيـ)، فـأـصـبـحـتـ الـنـفـسـ مـسـتـغـرـقـةـ فـيـ مـجـالـاتـ الـحـيـاتـ الـمـدـنـيـةـ منـ نـشـاطـ وـفـعـالـيـةـ فـيـ الـتـجـارـةـ وـالـمـالـ وـالـسـيـاسـةـ...ـ وـصـارـ الـمـجـتمـعـ مـجـالـاـ لـتـأـكـيدـ الـذـاتـ وـالـتـنـافـسـ وـالـإنـجـازـ الـشـخـصـيـ وـتـحـقـيقـ الـمـجـدـ فـيـ الـعـالـمـ الـدـنـيـوـيـ¹⁸ـ،ـ وـلـأـنـ هـذـاـ الـعـالـمـ زـائـلـ لـمـ حـالـةـ،ـ طـالـمـاـ أـنـ الـإـنـسـانـ كـائـنـ زـمـنـيـ كـمـ يـقـولـ هـيـدـغـرـ؛ـ أـيـ إـنـهـ كـائـنـ مـحـكـومـ بـالـمـوـتـ،ـ فـإـنـ قـيـمـةـ الـحـيـاتـ وـالـمـعـنـىـ مـنـ الـحـيـاتـ،ـ مـجـرـدـ مـفـاهـيمـ تـلـوـكـهـاـ الـأـلـسـنـ،ـ مـمـاـ يـوـلـدـ حـالـةـ مـنـ الـاغـرـابـ وـالـيـأسـ الـوـجـودـيـ،ـ وـهـوـ مـاـ يـتـنـافـيـ مـعـ إـنـسـانـيـةـ الـإـنـسـانـ¹⁹ـ.

وـمـنـ مـظـاهـرـ أـزـمـةـ الـمـعـنـىـ فـيـ عـالـمـاـ الـمـعـاصـرـ أـنـ بـاتـتـ قـيـمـةـ الـشـخـصـ تـقـاسـ بـالـمـعـايـيرـ نـفـسـهـاـ الـتـيـ تـسـتـخـدـمـ لـتـقـيـمـ الـسـلـعـ،ـ وـهـيـ مـعـايـيرـ نـفـعـيـةـ ذـاتـ قـيـمـةـ تـبـادـلـيـةـ.ـ وـلـأـنـ السـوـقـ الـجـدـيدـ هـوـ فـضـاءـ عـالـمـيـ تـعـرـضـ فـيـهـ «ـالـشـخـصـيـاتـ»ـ فـإـنـ مـوـقـفـ الـإـنـسـانـ مـنـ ذـاتـهـ يـتـشـكـلـ وـفـقـ مـتـطـلـبـاتـ هـذـهـ السـوـقـ،ـ حـيـثـ يـتـعـلـمـ كـيـفـ يـسـوـقـ نـفـسـهـ وـفـقـ قـاـعـدـةـ «ـأـنـاـ أـكـونـ كـمـ تـرـيـدـنـيـ أـنـ أـكـونـ»ـ،ـ دـوـنـ أـيـ اـكـتـرـاثـ بـالـقـيـمـ الـعـلـيـاـ أـوـ الـمـعـانـيـ الـكـبـرـىـ لـلـحـيـاتـ.ـ لـنـ تـجـدـ عـنـدـهـ أـيـ اـهـتـمـامـ بـالـأـسـئـلـةـ الـوـجـودـيـةـ أـوـ الـقـضـائـاـ الـفـلـسـفـيـةـ وـالـدـينـيـةـ،ـ مـثـلـ:ـ مـاـذـاـ يـعـيـشـ الـإـنـسـانـ؟ـ وـمـاـذـاـ يـنـتـهـجـ طـرـيـقـاـ فـيـ الـحـيـاتـ دـوـنـ غـيرـهـ؟ـ إـنـ كـبـاـقـيـ أـعـضـاءـ الـمـجـتمـعـ الـحـدـيـثـ؛ـ مـجـرـدـ كـيـانـ بـلـ جـوـهـرـ أـوـ إـحـسـاسـ بـالـهـوـيـةـ،ـ أـشـبـهـ بـأـدـاـةـ تـفـقـرـ إـلـىـ الـذـاتـ²⁰ـ.

وـبـالـنـظـرـ إـلـىـ الـمـوـضـوعـ مـنـ مـنـظـورـ اـقـتـصـاديـ؛ـ كـانـ مـنـ نـتـائـجـ التـنـظـيمـ الـعـقـلـانـيـ الـبـيـرـوـقـرـاطـيـ أـنـ تـمـ الـاـنـتـقـالـ مـنـ الـكـسـبـ فـيـ مـفـهـومـهـ الـرـوـحـيـ إـلـىـ الـكـسـبـ فـيـ مـعـنـاهـ الـمـاـدـيـ؛ـ وـذـلـكـ رـاجـعـ لـانـفـصـالـ السـلـوكـ الـاـقـتـصـاديـ عـنـ الـنـظـامـ الـأـخـلـاقـيـ وـالـقـيـمـ الـإـنـسـانـيـ،ـ وـتـرـاجـعـ الـنـظـريـاتـ الـأـخـلـاقـيـةـ الـتـيـ لـمـ تـكـنـ تـنـظـرـ إـلـىـ الـمـفـاهـيمـ الـاـقـتـصـاديـةـ مـنـ قـبـيلـ السـعـرـ وـالـرـبـحـ وـالـمـلـكـيـةـ إـلـاـ بـوـصـفـهـاـ دـاـخـلـ الـنـظـامـ الـذـيـ يـؤـسـسـهـ عـلـمـ الـلـاهـوـتـ الـأـخـلـاقـيـ.ـ هـذـاـ الـاـنـتـقـالـ كـانـ لـهـ تـدـاعـيـاتـ خـطـيرـةـ عـلـىـ الـوـجـودـ الـأـصـيـلـ لـلـإـنـسـانـ تـجـلـتـ فـيـ ظـهـورـ

17 أـرـكـونـ،ـ نـزـعـةـ الـأـنـسـنـةـ فـيـ الـفـكـرـ الـعـرـبـيـ،ـ مـ،ـ صـ 33

18 النـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ فـيـ الـفـكـرـ الـعـرـبـيـ الـقـدـيمـ،ـ مـ.ـ صـ 60ـ 61

19 Martin Heidegger, BEING AND TIME, Trans John Macquarrie and Edward Robinson, Blackwell, Oxford. First English Edition, 1962, P281-296

20 إـرـيـكـ فـرـوـمـ،ـ إـلـإـنـسـانـ بـيـنـ الـمـظـهـرـ وـالـجـوـهـرـ،ـ تـرـجـمـةـ سـعـدـ زـهـرـانـ،ـ عـالـمـ الـمـعـرـفـةـ،ـ الـمـجـلـسـ الـوـطـنـيـ لـلـثـقـافـةـ،ـ الـكـوـيـتـ،ـ العـدـدـ 140ـ،ـ 1989ـ.

صـ صـ 139ـ 140

نزعـتين: الأولى تمثلـتـ في التـوجـهـ الرـادـيـكـالـيـ نحوـ اللـذـةـ، وـانـكـشـفـتـ الثـانـيـةـ فيـ الأـنـانـيـةـ المـفـرـطـةـ. وـكـلـتاـ النـزـعـتـيـنـ قـامـتاـ عـلـىـ مـقـدـمـتـيـنـ سـيـكـوـلـوـجـيـتـيـنـ كـانـتـاـ وـلـيـدـتـاـ الـعـصـرـ الـحـدـيـثـ؛ الـأـوـلـىـ هيـ أـنـ السـعـادـةـ هـدـفـ الـحـيـاةـ وـتـحـقـيقـهاـ رـهـيـنـ بـإـشـبـاعـ الرـغـبـاتـ الـمـادـيـةـ، وـالـثـانـيـةـ تمـثـلـتـ فيـ كـوـنـ أـنـ تـحـقـيقـ الـمـصـلـحـةـ الشـخـصـيـةـ يـفـضـيـ إلىـ الـانـسـجـامـ معـ الـمـصـلـحـةـ الـعـامـةـ. وـالـمـقـدـمـتـيـنـ مـعـاـ إـذـاـ مـاـ نـظـرـ إـلـيـهـمـاـ كـمـبـدـأـيـنـ نـظـرـيـنـ فـإـنـهـمـاـ لـاـ يـعـكـسـانـ أـيـ نـتـيـجـةـ سـلـبـيـةـ، بـلـ إـنـهـمـاـ قـدـ ظـهـرـاـ عـنـدـ هـذـاـ الـفـيـلـسـوـفـ أوـ ذـاكـ فيـ عـصـورـ سـابـقـةـ عـلـىـ الـعـصـرـ الـحـدـيـثـ، لـكـنـهـمـاـ كـانـتـاـ دـائـمـاـ مـحـتـضـنـتـاـنـ فيـ عـالـمـ يـؤـمـنـ بـالـكـسـبـ الـرـوـحـيـ قـبـلـ الـمـادـيـ؛ عـالـمـ مـعـنـيـ بـتـمـيـزـ الرـغـبـاتـ بـيـنـ ماـ هـوـ لـحـظـيـ تـعـقـبـهـ أـضـرـارـ، وـبـيـنـ مـاـ هـوـ صـالـحـ تـطـلـبـهـ الـطـبـيـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ فيـ نـضـجـهاـ الـعـقـلـيـ وـالـرـوـحـيـ، أـمـاـ وـأـنـ الـعـصـرـ الـحـدـيـثـ قـدـ قـامـ بـتـشـطـيـرـ الـإـنـسـانـ بـعـدـ أـنـ قـطـعـ مـعـ الـلـاهـوـتـ، فـإـنـ مـنـ التـنـدـاعـيـاتـ الـخـطـيرـةـ الـتـيـ تـمـخـضـتـ عـنـهـاـ هـذـهـ النـزـعـةـ الـلـإـنـسـانـيـةـ أـنـ أـصـبـحـتـ كـلـ الرـغـبـاتـ مـتـاحـةـ وـمـرـغـوبـ فـيـهـاـ دـوـنـ وـازـعـ أـخـلـاقـيـ، وـأـضـحـتـ الـمـصـلـحـةـ تـقـاسـ بـالـإـشـبـاعـ الـمـفـرـطـ لـلـرـغـبـاتـ الـتـيـ يـتـيـحـهـاـ الـإـنـتـاجـ الـمـادـيـ. وـمـنـ ثـمـ كـانـ الـمـبـدـأـ الـقـائـلـ إـنـ الـمـصـلـحـةـ الـخـاصـةـ تـفـضـيـ إـلـىـ الـمـصـلـحـةـ الـعـامـةـ، غـيرـ صـحـيـحـ مـاـ دـامـ أـنـ الـأـنـانـيـةـ الـمـفـرـطـةـ هـيـ سـيـدـةـ الـمـوـقـفـ؛ فـلـاـ عـجـبـ فـيـ أـنـ تـرـىـ الـزـعـمـاءـ الـسـيـاسـيـنـ وـرـجـالـ الـأـعـمـالـ يـقـدـمـونـ عـلـىـ اـتـخـادـ قـرـارـاتـ فـيـ ظـاهـرـهـاـ صـالـحةـ لـلـجـمـيعـ، لـكـنـهـاـ فـيـ بـاطـنـهـاـ لـاـ تـعـودـ بـالـنـفـعـ إـلـاـ عـلـىـ أـصـحـابـهـاـ.²¹

إـرـادـةـ الـقـوـةـ وـالـهـيـمـنـةـ

مـنـ الـمـعـلـومـ أـنـ الـعـصـرـ الـحـدـيـثـ كـانـ يـعـدـ الـإـنـسـانـ بـالـتـقـدـمـ غـيرـ الـمـحـدـودـ، هـذـاـ الـوـعـدـ الـعـظـيمـ كـمـاـ يـسـمـيـهـ إـرـيكـ فـرـومـ Erich Frommـ، وـالـذـيـ يـتـضـمـنـ مـنـ بـيـنـ مـاـ يـتـضـمـنـهـ السـيـطـرـةـ عـلـىـ الـطـبـيـعـةـ وـالـسـعـادـةـ الـمـطـلـقـةـ وـالـحـرـيـةـ الـلـامـحـدـوـدـةـ وـالـلـوـفـرـةـ الـمـادـيـةـ...ـ أـخـفـقـ فـيـ الـوـفـاءـ بـوـعـودـهـ، أـوـ بـالـأـحـرـىـ يـمـكـنـ القـوـلـ إـنـ النـجـاحـ الـمـلـمـوسـ، وـالـذـيـ يـمـكـنـ أـخـذـهـ مـعـيـارـاـ لـلـتـقـدـمـ، وـهـوـ أـنـ الـإـنـسـانـ صـارـ أـكـثـرـ اـقـتـرـابـاـ مـنـ السـوـبـرـمـانـ لـمـ يـتـحـقـقـ إـلـاـ عـلـىـ حـسـابـ التـجـرـدـ مـنـ إـنـسـانـيـتـهـ²².ـ هـذـهـ النـتـيـجـةـ كـانـتـ وـلـيـدـةـ الـأـسـاسـ الـفـلـسـفـيـ وـالـعـلـمـيـ الـذـيـ تـقـومـ عـلـيـهـ مـنـظـومـةـ الـعـصـرـ الـحـدـيـثـ، وـقـدـ بـدـأـ ذـلـكـ مـنـ خـلـالـ وـضـعـ حـدـودـ بـيـنـ الـحـقـوـلـ الـمـعـرـفـيـ بـحـجـةـ تـدـقـيقـ التـخـصـصـاتـ، مـاـ أـدـىـ فـيـ مـجـالـ الـفـلـسـفـةـ وـالـعـلـمـوـنـ الـإـنـسـانـيـةـ إـلـىـ تـشـتـتـ الـمـعـنـىـ وـتـبـعـثـرـهـ بـدـلـ تـوـحـيـدـهـ، وـفـيـ مـجـالـ الـعـلـمـوـنـ الـحـقـقـةـ أـدـىـ التـرـكـيزـ عـلـىـ الـفـوـائـدـ الـعـلـمـيـةـ وـالـتـقـنـيـةـ إـلـىـ مـزـيدـ مـنـ التـنـافـسـ عـلـىـ الـقـوـةـ وـالـسـلـطـةـ وـالـأـسـوـقـ وـالـأـرـبـاحـ...ـ وـيـتـبـعـ كـلـ ذـلـكـ حـسـبـ مـحـمـدـ أـرـكـونـ تـهـمـيـشـ الـفـلـسـفـةـ وـالـعـلـمـوـنـ الـاجـتـمـاعـيـةـ وـجـعـلـهـاـ فـيـ الـهـامـشـ الـتـابـعـ لـلـعـلـمـوـنـ الـدـقـيقـةـ؛ـ فـقـدـ أـصـبـحـتـ الـعـلـمـوـنـ الـاجـتـمـاعـيـةـ مـنـذـ أـوـغـسـتـ كـوـنـتـ وـإـمـيلـ دـورـ كـاـيمـ لـاـ تـنـفـكـ تـقـلـدـ الـعـلـمـوـنـ الـدـقـيقـةـ²³.

21 إـرـيكـ فـرـومـ، إـلـيـانـ بـيـنـ الـجـوـهـرـ وـالـمـظـهـرـ، صـ20-21

22 نـفـسـهـ، صـ17

23 أـرـكـونـ، نـزـعـةـ الـأـنـسـانـةـ فـيـ الـفـكـرـ الـعـرـبـيـ، مـمـ، صـ26-28

وما يشير إليه أركون هنا صراحة هو الوصاية السياسية على العلوم؛ إذ تم تدجين العلوم والابحاث الإنسانية من أجل تسخيرها لخدمة أهداف الدولة الحديثة، فت تكون النتيجة هنا نتائج إقصائية؛ أي إقصاء الإنسان باسم الإنسان، وهو إقصاء مزدوج داخلياً وخارجياً؛ داخلياً باسم العلوم وتخصصاتها الدقيقة، حيث يتم تسطير الإنسان وتشييئه أو جعله كليّة مادية محبطة، شأنه شأن باقي الأشياء، وخارجياً باسم الدولة الغربية المدجنة للعلوم والتخصصات الإنسانية، حيث يتم إقصاء الإنسان الذي لا ينتمي إلى رقعتها الثقافية والجغرافية، فتنتظر إليه بصفته ذلك الآخر الغريب المتطرف، أو بوصفه تلك القيمة المادية المستفاد منها، ولنا في النقاش الدائر في الأوساط الثقافية الغربية حول قيمة المهاجرين الأفارقة عبراً نحاكم من خلالها النزعة الإنسانية الوهمية.

ثم إن الاقتضاء بالنزعـة المـوضـوعـية للمـعـرـفـة العـلـمـيـة لمـيـقـتـصـر عـلـى جـعـل العـلـمـوـنـالـإـنـسـانـيـةـ فـيـ الـمـرـتـبـةـ التـابـعـةـ فـقـطـ،ـ وـإـنـماـ تـعـدـاهـ كـمـاـ يـرـىـ ذـلـكـ مـيـشـيلـ هـنـرـيـ Michel Henryـ إـلـىـ بـرـوزـ نـزـعـةـ مـوضـوعـيـةـ حـتـىـ فـيـ الـوـسـائـطـ الـإـلـعـامـيـةـ الـتـيـ سـاـيـرـتـ مـوجـةـ اـقـتـلـاعـ الـإـنـسـانـ مـنـ نـفـسـهـ،ـ وـاـحـتـلـالـ عـقـلـهـ بـوـاسـطـةـ الـمـحـتـوىـ الـذـيـ هـوـ فـيـ طـبـيـعـتـهـ تـلـاعـبـ أـيـدـيـولـوـجـيـ لـاـ يـعـرـفـ حدـودـاـ،ـ فـصـارـ كـلـ فـكـرـ حـرـ،ـ وـكـلـ فـعـلـ دـيـقـرـاطـيـ،ـ هـوـ أـشـبـهـ بـدـمـىـ الـعـرـائـسـ،ـ وـأـصـبـحـتـ الـعـلـاقـاتـ الـشـخـصـيـةـ مـحـكـومـ عـلـيـهـاـ بـالـاقـتـصـارـ عـلـىـ الـتـمـظـهـرـاتـ الـخـارـجـيـةـ،ـ شـأـنـ الـحـبـ الـذـيـ تـحـولـ هـوـ الـآـخـرـ إـلـىـ مـجـرـدـ حـرـكـةـ مـوضـوعـيـةـ لـلـأـجـسـادـ وـالـصـورـ الـفـوـتـوـغـرـافـيـةـ²⁴ـ.

إن التقدم الذي كانت النزعة الإنسانية تعدد الإنسان به ظهر أنه من الأوهام العظيمة التي لم نفطن إليها بعد، فما زال الكثيرون يعتقدون أن تحقيق الثروة والرفاهية سيحقق السعادة للجميع، في حين أن الإشاع عن طريق الاستهلاك المفرط هو الطريق الأقصر إلى الشقاء والتعاسة؛ إذ أصبح الإنسان الاستهلاكي أشبه ما يكون بالربيع الأبدي الذي لا يكف عن الصياغ في طلب زجاجة الرضاعة²⁵، ثم إن هذا التقدم جعل الجميع تحت أقدام الآلة البيروقراطية التي تدوس بأجهزتها الإعلامية على مشاعرنا وأفكارنا وأذواقنا لتتلاءب بها كما تريده. وحتى إذا سلمنا بأهمية هذا التقدم الصناعي الذي تحقق حتى الآن فإنه سرعان ما يلح علينا ذلك السؤال حول أسباب الهوة السحيقة الفاصلة بين الأمم الغنية والأمم الفقيرة. ناهيك عن كل المخاطر²⁶ الصادرة عن هذا التقدم المزعوم والتي تشي باقتراب ذلك اليوم الذي ستنتهي فيه كل أشكال الحضارة²⁷. وفي هذا السياق، نستحضر قول أركون: «إن انتصار النزعة الإنسانية أو نجاحها وديومتها، لا يتوقف على مدى الغنى الاقتصادي والتقدم التكنولوجي للمجتمع بقدر ما يتوقف على مدى تقديره لما سأدعوه حقوق الروح»²⁸.

24 ميشيل هنري، *الهمجية زمن علم بلا ثقافة*، ترجمة جلال بدلة، دار الساقى، ط1، 2022، ص 17-18.

25 إريك فروم، الإنسان بين الجوهر والمضمون، ص39

²⁶* نقصد مخاطر البيئة، واستنزاف الطبيعة، والتغيرات المناخية، والسباق نحو التسلح النووي...

27 إريك فروم، الإنسان بين الجوهر والمظاهر، ص 16

³⁹ محمد أركون، *نزعـة الأنـسـنة فـي الـفـكـر الـعـرـبـي*، مـمـ، صـ39

كما لنا أن ننظر مع ميشيل فوكو إلى عصر الأنوار وما يتبعـحـ به من إعلـاءـ للإـنسـانـ والـعـقـلـ الإـنسـانـيـ، لنـرىـ أنـ النـزعـةـ الإنسـانـيةـ الغـرـبـيـةـ هيـ نـزعـةـ اـخـتـزـالـيـةـ لـلـإـنسـانـ؛ـ فـالـإـنسـانـ فيـ نـظرـهـاـ ذـلـكـ الـحـيـوانـ الـذـيـ يـتـمـيـزـ بـالـعـقـلـ،ـ وـبـالـتـالـيـ هيـ نـزعـةـ إـقـصـائـيـةـ لـلـاعـقـلـ،ـ وـهـوـ إـلـقـاصـاءـ الـذـيـ بـدـأـهـ دـيـكـارـتـ عـنـدـمـ استـشـنـىـ الـمـجـانـينـ مـنـ الصـفـةـ الإنسـانـيـةـ بـاسـمـ الـعـقـلـ،ـ وـاسـتـمـرـ فيـ الـفـكـرـ الغـرـبـيـ لـأـنـهـ كـانـ يـسـتـجـيبـ لـرـغـبـاتـ سـيـاسـيـةـ اـقـتصـادـيـةـ،ـ فـتـمـخـضـ عـنـ «ـالـاحـتجـازـ الـكـبـيرـ»ـ لـلـحـمـقـىـ وـالـمـجـانـينـ وـالـعـاطـلـيـنـ وـالـمـتـسـولـيـنـ وـالـزـنـادـقـةـ...ـ الـذـيـنـ لـمـ يـعـدـ الـمـجـتمـعـ يـرـىـ فـيـهـ صـورـةـ اللـهـ عـلـىـ الـأـرـضـ،ـ بـلـ نـشـازـ يـجـبـ اـحـتـجـازـهـ وـتـقـوـيـضـهـ؛ـ إـنـ بـعـدـ الـمـبـالـةـ فيـ أـوـقـاتـ الـأـزـمـاتـ،ـ وـإـنـ بـالـتـسـخـيرـ وـالـسـتـغـلـالـ بـتـوـفـيرـ الـيـدـ الـعـالـمـةـ الرـخـيـصـةـ فيـ أـوـقـاتـ الـرـخـاءـ،ـ وـبـالـتـالـيـ فـالـنـزعـةـ الـإـنسـانـيـةـ الغـرـبـيـةـ لـيـسـ نـزعـةـ كـوـنـيـةـ²⁹.

منـ السـمـاتـ الـأـخـرـىـ لـلـنـزعـةـ الـإـنسـانـيـةـ الغـرـبـيـةـ كـماـ حـدـدـ ذـلـكـ مـيـشـيلـ هـنـرـيـ فـيـ كـتـابـهـ "ـالـهـمـجـيـةـ زـمـنـ عـلـمـ بـلـ ثـقـافـةـ"ـ الـاـفـتـرـاقـ غـيرـ الـمـعـقـولـ بـيـنـ الـعـلـمـ وـالـقـاـفـافـةـ،ـ وـالـذـيـ يـقـصـدـ بـهـ أـنـ التـقـدـمـ الـمـلـمـوـسـ مـلـتـجـاـتـ الـعـصـرـ الـحـدـيـثــ وـإـنـ كـانـ قـدـ تـأـسـسـ عـنـ طـرـيـقـ الـذـاتـيـ الـعـقـلـانـيـةـ الـتـيـ بـدـأـهـاـ دـيـكـارـتــ صـاحـبـ إـقـصـاءـ لـلـذـاتـيـةـ،ـ مـاـ يـجـعـلـ الـمـسـأـلـةـ بـرـمـتـهاـ أـشـبـهـ بـالـمـفـارـقـةـ؛ـ إـذـ كـيـفـ يـمـكـنـ لـلـإـعلـاءـ مـنـ شـأـنـ الـإـنسـانـ أـنـ يـنـتـهـيـ إـلـىـ الـحـظـّـ مـنـ قـيـمةـ الـإـنسـانـ،ـ لـكـنـهاـ مـفـارـقـةـ مـفـهـومـةـ وـوـاضـحـةـ؛ـ إـذـ مـنـ الـمـؤـكـدـ أـنـ الـفـلـسـفـةـ الـغـرـبـيـةـ بـنـظـرـتـهاـ التـشـطـيرـيـةـ لـلـإـنسـانـ وـاـخـتـزـالـهـ فـيـ بـعـدـ وـاـحـدـ هـوـ الـبـعـدـ الـعـقـلـيـ حـتـىـ أـضـحـىـ كـلـيـةـ عـقـلـانـيـةـ خـالـصـةـ،ـ قـامـتـ فـيـ أـسـاسـهـاـ الـعـلـمـيـ وـالـفـلـسـفـيـ عـلـىـ تـعـطـيلـ الـذـاتـيـ بـمـاـ هـيـ مـجـمـوعـ قـوـىـ مـتـضـافـرـةـ لـاـ يـصـحـ تـعـرـيـفـ الـإـنسـانــ مـنـ دـوـنـهـاـ؛ـ أـيـ إـلـغـاءـ حـسـاسـيـتـاـنـاـ اـتـجـاهـ ذـوـاتـنـاـ وـالـآخـرـينـ،ـ وـمـجـمـلـ اـنـطـبـاعـاتـنـاـ وـرـغـبـاتـنـاـ وـأـهـوـائـنـاـ وـعـوـاـطـفـنـاـ وـأـفـكـارـنـاـ،ـ مـاـ أـدـىـ حـتـىـ إـلـىـ تـرـاجـعـ الـخـيـالـ الـشـعـرـيـ لـصـالـحـ الـخـيـالـ الـعـلـمـيـ،ـ وـهـذـاـ دـرـسـ آخـرـ مـنـ الـدـرـوـسـ الـلـإـنسـانـيـةـ لـلـنـزعـةـ الـإـنسـانـيـةـ الـغـرـبـيـةـ.

وـنـظـرـاـ إـلـىـ هـذـهـ الـأـزـمـاتـ الـتـيـ تـشـيـ بـوـضـعـيـةـ قـلـقـةـ يـعـيـشـهـاـ الـإـنسـانـ الـمـعـاـصـرـ،ـ وـجـدـ سـورـوكـينـ (Soroken)ـ 1992ـ بـعـدـ تـحـلـيلـهـ أـزـمـةـ الـحـضـارـةـ الـغـرـبـيـةـ الـمـعـاـصـرـةـ،ـ أـنـهـ لـاـ يـمـكـنـ الـخـرـوجـ مـنـ الـأـزـمـةـ إـلـاـ بـيـنـاءـ تـصـورـ جـدـيدـ أـسـمـاهـ الـنـظـرـيـةـ التـكـامـلـيـةـ لـلـوـاقـعـ وـالـحـقـيـقـةـ؛ـ وـيـقـصـدـ بـذـلـكـ أـنـ الـعـلـومـ الـإـنسـانـيـةـ فـيـ اـرـتـكـازـهـاـ عـلـىـ الـبـعـدـ الـمـادـيـ لـلـإـنسـانـ اـنـتـهـتـ إـلـىـ طـرـيـقـ مـسـدـودـ هـوـ الـطـرـيـقـ الـمـادـيـ الـتـجـرـيـبيـ؛ـ فـيـجـبـ إـحـيـأـهـاـ عـبـرـ رـؤـيـةـ تـواـزـنـيـةـ بـيـنـ الـجـانـبـ الـرـوـحـيـ وـمـاـ يـتـصـلـ بـهـ مـنـ حـقـائـقـ مـصـدـرـهـاـ الـوـحـيـ،ـ وـالـجـانـبـ الـعـقـلـيـ وـمـاـ يـمـتـ إـلـيـهـ مـنـ حـقـائـقـ عـقـلـانـيـةـ مـصـدـرـهـاـ الـعـقـلـ،ـ وـالـجـانـبـ الـحـسـيـ مـعـ ماـ يـوـلـدـهـ مـنـ حـقـائـقـ حـسـيـةـ تـجـرـيـبـيـةـ³⁰ـ.ـ وـهـوـ الـطـرـحـ نـفـسـهـ الـذـيـ اـنـتـهـىـ إـلـيـهـ فـيـلـسـوـفـ عـالـمـ بـالـطـبـيـعـةـ الـبـشـرـيـةـ هـوـ إـرـيـكـ فـرـوـمـ،ـ حـيـثـ إـنـ الـوـجـودـ الـحـقـ وـالـأـصـيـلـ لـهـ مـنـابـعـهـ فـيـ الـطـبـيـعـةـ الـإـنسـانـيـةـ،ـ وـهـوـ وـجـودـ لـاـ يـمـكـنـ اـسـتـعـادـتـهـ إـلـاـ بـالـتـوـلـيـفـ بـيـنـ الـجـوـهـرـ الـرـوـحـانـيـ وـالـتـفـكـيرـ الـعـقـلـانـيـ³¹ـ.

29 لـالـلـوـمـونـ،ـ فـوـكـوـ مـفـكـرـ الـحـادـثـةـ،ـ تـرـجـمـةـ حـسـنـ أـحـيـجـ،ـ مـوـقـعـ تـوـفـيقـ رـشـدـ لـلـأـبـحـاثـ وـالـدـرـاسـاتـ الـفـلـسـفـيـةـ،ـ صـ صـ 4ـ5ـ.

30 إـبـراهـيمـ عـبـدـ الرـحـمـنـ رـجـبـ،ـ الـعـلـومـ الـاجـتمـاعـيـةـ:ـ الـوـضـعـ الـرـاهـنـ وـآـفـاقـ الـمـسـتـقـبـلـ،ـ مـجـلـةـ الـعـلـومـ الـاجـتمـاعـيـةـ،ـ مـجـلـةـ 30ـ،ـ عـدـ 04ـ،ـ 2002ـ،ـ 683ـ687ـ.

31 إـرـيـكـ فـرـوـمـ،ـ الـإـنسـانـ بـيـنـ الـجـوـهـرـ وـالـمـظـهـرـ،ـ صـ 12ـ.

إن هذه النتيجة التي توصل إليها الكثير من الفلاسفة والعلماء الغربيين، بعد تبـين الهـوة الفاصلة بين مبـادـئ النـزعـة الإنسـانية المـسـطـرـة عند اـنـطـلـاقـتها وـبـيـن ما آـلـت إـلـيـه عند تـحـقـيقـها في الواقع العـمـلي لأـورـوباـ، كانت هي الحـافـزـ لـلـعـودـةـ لـلـنـزعـةـ الإنسـانـيةـ فيـ الـفـكـرـ الإـسـلـامـيـ، لإـظـهـارـ أنـ الـمـهـمـةـ الـحـقـيقـيـةـ لـلـعـقـلـ تـتـمـثـلـ فيـ تـقـدـيمـ رـؤـيـةـ شـمـولـيـةـ عـنـ الـعـامـ لـاـ نـظـرـةـ جـزـئـيـةـ، وـرـؤـيـةـ الشـمـولـيـةـ لـلـعـالـمـ قـائـمـةـ عـلـىـ الرـؤـيـةـ الشـمـولـيـةـ لـلـإـنـسـانـ مـنـ حـيـثـ هوـ رـوـحـ وـمـادـةـ، وـسـيـظـلـ الـفـكـرـ الإـنـسـانـيـ عـاجـزاـ عـنـ هـذـهـ الـمـهـمـةـ طـالـمـاـ أـنـ قـائـمـ عـلـىـ التـخـصـصـاتـ الدـقـيقـةـ، وـتـقـسـيمـ الـوـاقـعـ وـعـزـلـ عـنـاصـرـهـ عـنـ بـعـضـهاـ الـبـعـضـ، وـبـالـتـالـيـ تـنـعـدـمـ كـلـ مـحاـوـلـةـ لـإـقـامـةـ نـزعـةـ إـنـسـانـيـةـ شـامـلـةـ؛ أيـ نـزعـةـ كـوـنـيـةـ لـجـمـلـ أـعـضـاءـ الـبـشـرـيـةـ، نـزعـةـ تـتـجـاـزـ الـحـدـودـ الـعـنـصـرـيـةـ الـضـيـقـةـ لـكـيـ تـنـصـلـ إـلـىـ إـلـيـانـ مـنـ حـيـثـ هوـ إـنـسـانـ.

وـإـذـاـ كـنـاـ لـاـ نـمـيـلـ إـلـىـ التـقـلـيلـ مـنـ أـهـمـيـةـ الـمـكـتـسـبـاتـ الـتـيـ حـقـقـتـهاـ الـحـدـاثـةـ الـغـرـبـيـةـ حـتـىـ الـيـوـمـ، كـمـاـ لـاـ نـمـيـلـ إـلـىـ اـعـتـبـارـ النـزعـةـ إـنـسـانـيـةـ فيـ الـثـقـافـةـ الـعـرـبـيـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ هيـ الـبـدـيـلـ عنـ النـزعـةـ إـنـسـانـيـةـ الـغـرـبـيـةـ؛ـ لأنـ هـذـهـ النـزعـةـ عـلـىـ أـهـمـيـتـهاـ كـانـتـ تـسـبـحـ فيـ مـنـاخـ الـقـرـونـ الـوـسـطـيـ، وـبـالـتـالـيـ مـيـكـنـ مـسـمـوـحـ لـهـاـ أـنـ تـتـعـدـىـ سـقـفـاـ مـعـيـنـاـ، فـإـنـاـ مـعـ ذـلـكـ نـجـنـحـ إـلـىـ الـقـوـلـ الـذـيـ يـرـىـ أـنـ كـانـ مـنـ الـمـمـكـنـ أـنـ تـتـفـقـ النـزعـةـ إـنـسـانـيـةـ فيـ ثـقـافـتـنـاـ عـنـ إـمـكـانـاتـ تـتـجـاـزـ حـدـودـ النـزعـةـ إـنـسـانـيـةـ الـغـرـبـيـةـ، لـوـ مـيـمـ إـجـاهـضـهاـ.

2. النـزعـةـ إـنـسـانـيـةـ فيـ الـفـكـرـ الـعـرـبـيـ إـلـاسـلـامـيـ.

إنـ النـزعـةـ إـنـسـانـيـةـ فيـ الـثـقـافـةـ الـعـرـبـيـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ اـرـتـبـطـتـ بـالـدـيـنـ إـلـاسـلـامـيـ قـلـبـاـ وـقـالـبـاـ، فـسـوـاءـ دـارـ الـبـحـثـ حولـ أـسـسـهاـ الـفـلـسـفـيـةـ أوـ مـحـدـدـاتـهاـ الـصـوـفـيـةـ، فـإـنـ كـلـاـ الـمـجـالـيـنـ يـمـتـحـانـ مـنـ مـغـرـفـ الـدـيـنـ، وـبـالـتـالـيـ فـالـتـأـوـيـلـ إـلـاسـلـامـيـ لـلـإـنـسـانـ بـمـاـ هـوـ عـصـبـ النـزعـةـ إـنـسـانـيـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ يـقـومـ عـلـىـ التـصـورـ الـدـيـنـيـ إـلـاسـلـامـيـ لـلـإـنـسـانـ؛ـ وـإـنـ أـوـلـ مـاـ نـسـجـلـهـ فـيـ هـذـاـ التـصـورـ هـوـ الـخـرـوجـ بـالـإـنـسـانـ الـعـرـبـيـ مـنـ الـعـصـرـ الـجـاهـلـيـ «ـالـظـلـمـاتـ»ـ إـلـىـ عـصـرـ الـأـنـوـارـ؛ـ فـالـأـوـلـ قـائـمـ عـلـىـ النـزعـةـ الـعـصـبـيـةـ وـالـأـثـانـيـةـ الـقـبـلـيـةـ، وـالـثـانـيـ قـائـمـ عـلـىـ عـالـمـيـةـ الـرـسـالـةـ، جـاعـلـاـ مـنـ إـلـيـانـ مـنـ حـيـثـ هوـ إـنـسـانـ هوـ الـمـوـضـوـعـ وـالـغـاـيـةـ.

وـعـلـيـهـ، فـالـنـصـ الـمـقـدـسـ (ـالـقـرـآنـ)ـ هـوـ نـصـ إـنـسـانـيـ وـخـطـابـ مـوـجـهـ لـلـإـنـسـانـ؛ـ فـالـإـنـسـانـ يـتـبـوـأـ مـكـانـةـ مـتـمـيـزةـ بـدـأـ مـنـ قـصـةـ الـخـلـقـ حـيـثـ نـفـخـ اللـهـ فـيـهـ مـنـ رـوـحـهـ³²ـ، مـرـورـاـ بـقـصـةـ الـمـعـرـفـةـ الـتـيـ اـكـتـسـبـ فـيـهـ سـرـاـ مـنـ أـسـرـارـ اللـهـ، وـالـتـيـ اـسـتـحـقـ بـمـوـجـبـهاـ سـجـودـ الـمـلـائـكـةـ³³ـ، ثـمـ قـصـةـ الـخـلـفـ حـيـثـ اـسـتـخـلـفـهـ اللـهـ عـلـىـ الـأـرـضـ لـإـعـمـارـهـ³⁴ـ، وـصـوـلاـ إـلـىـ قـصـةـ الـأـمـانـةـ الـتـيـ عـرـضـهـاـ اللـهـ عـلـىـ سـائـرـ الـمـوـجـودـاتـ الـتـيـ أـبـتـ وـأـشـفـقـتـ عـلـىـ

³² قوله تعالى: "... ثم سواه ونفخ فيه من روحه". السجدة 9

³³ قوله تعالى: "وعلم آم الأسماء كلها". البقرة 31

³⁴ قوله تعالى: "إني جاعل في الأرض خليفة" سورة البقرة، الآية 30

نفسها من حملها وتتكلف الإنسان بها³⁵، فاكتسب مسؤوليته على حريته. وبالتالي فقصة الإنسان الأول في القرآن ليست عرضاً تاريخياً وإنما تشكيل رمزاً يوحى بأن الرسالة للجميع وأن لا فرق بين الناس طالما أن آدم أب للجميع، وأن الله رب للجميع، وأن لا قرابة بين الناس فيما هو لغوي عرقي عدا القرابة الروحية، ولا اختلاف بين الناس فيما هو ديني جنسي عدا التقوى. وبمثل هذا الفهم الذي يعمق تصورنا عن الإنسان أنطولوجياً اجتماعياً وأخلاقياً، نفهم المعنى من أول الآية «ولقد كرمنا بني آدم» إلى آخرها «وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تقضيلاً»³⁶.

وإذن، فالنزعـة الإنسـانية التي نـرى أنـ الفـكر العـربـي الإـسلامـي يـدعـو إـلـيـها هـيـ التي أـفـرـهـا القرآنـ وـوـضـعـ أـسـسـهـا الأولىـ، وـهـيـ نـزعـةـ كـوـنـيـةـ لاـ تـمـيلـ إـلـىـ الإـلـاعـاءـ منـ شـأنـ عـرـقـ ماـ عـلـىـ حـسـابـ عـرـقـ آخرـ، كـمـاـ أـنـهـاـ لاـ تـعـرـفـ بـالـحـدـودـ الـجـغـرـافـيـةـ وـالـلـغـوـيـةـ وـالـدـينـيـةـ...ـ وـإـنـمـاـ هـيـ شـأنـ إـنـسـانـيـ مـتـعـلـقـ بـكـرـامـةـ كـلـ إـنـسـانـ:ـ «ـيـاـ أـيـهاـ النـاسـ إـنـاـ خـلـقـاـكـمـ مـنـ ذـكـرـ وـأـنـثـيـ وـجـعـلـنـاـكـمـ شـعـوـبـاـ وـقـبـائـلـ لـتـعـارـفـوـاـ إـنـ أـكـرـمـكـمـ عـنـدـ اللهـ أـنـقـاـكـمـ»³⁷.ـ وـقـدـ تـمـ تـعمـيقـ هـذـهـ النـزعـةـ فـيـ الـحـرـكـاتـ الـفـكـرـيـةـ الـفـلـسـفـيـةـ وـبـاـقـيـ الـمـذاـهـبـ الـمـعـرـفـيـةـ الـتـيـ قـامـتـ إـبـانـ الـانـفـتـاحـ الـقـافـيـ وـعـصـرـ الـتـدوـينـ،ـ وـهـوـ مـاـ شـكـلـ اـزـدـهـارـ الـحـضـارـةـ الـعـرـبـيـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ،ـ لـكـنـ سـرـعـانـ مـاـ تـمـ إـجـهـاـضـ هـذـاـ الـمـذـهـبـ الـإـنـسـانـيـ عـنـدـمـاـ اـخـتـاطـتـ الـخـطـابـاتـ الـفـكـرـيـةـ بـالـنـوـاـيـاـ الـسـيـاسـيـةـ وـالـغـايـاتـ الـدـينـيـةـ،ـ وـالـتـيـ جـعـلـتـ مـنـ التـأـوـيلـ الـأـيـديـولـوـجـيـ لـلـنـصـ الـدـينـيـ سـيـلـاـ لـبـلوـغـ هـذـهـ الـغـايـاتـ.

كانت الفلسفة العربية الإسلامية تدور مباحثها حول طبيعة العلاقة وحدودها بين الإنسان والخلق، وهي العلاقة التي تم التعبير عنها بموقف الدين من الفلسفة، أو أيهما يحوز الأسبقية: الإيمان أم الفهم، النقل أم العقل...؟ ومن مظاهر تمجيد الإنسان في الفلسفة العربية الإسلامية دفاع الفلاسفة المسلمين عن أهمية العقل ودوره الحاسم في الاتصال بالخلق، وأن الإيمان دون معرفة هو إيمان ناقص، مع عدم إهمال أهمية الوحي كطريق للمعرفة الاتسراوية والاتصال الروحي بالخلق؛ فكانت هذه النزعة التوفيقية سارية في كل الرسائل الفلسفية والصوفية: بدأ بالكندي، مروراً بالفارابي، ابن سينا، إخوان الصفا، والغزالى... وصولاً إلى ابن طفيل وابن رشد.

فها هو فيلسوف العرب³⁸، يميز بين طريق الشرع وطريق الحكم، ويبيّن الفرق بينهما، معتبراً الحقيقة واحدة والطريق الموصل إليها متشعب؛ فإنما أن نصل إلى الحق عن طريق العقل، وهو طريق الفلسفه في الاعتماد على الاستدلال والبرهان والبحث والتنقيب، وهذه هي المعرفة العقلية، وإنما أن نصل إلى الحق

35 **** قوله تعالى: "إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبار فأبین أن يحملنها وأشفعنا منها وحملها الإنسان إنه كان ظلماً جهولاً".
الأحزاب 72

36 سورة الإسراء، الآية 70

37 سورة الحجرات، الآية 13

³⁸ أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، 185هـ/1252هـ على وجه التقرير، من قبيلة كندة العربية، يلقب بفيلسوف العرب لأنه أول فيلسوف عربي اشتغل بالفلسفة.

عن طريق الوحي، وهو طريق الأنبياء ومن اصطفاهم الله لحمل رسالته، وهذه هي المعرفة الإشراقية. ولما كان الطريق الثاني مخصوصاً على المصطفين، كان الكندي يدافع عن الطريق الأول؛ لأنـه يتـوفـر لأصحاب العـقول وأـربـاب البـصـائرـ الذينـ منـ شـأنـهـ التـفـكـيرـ وـالـنـظـرـ وـالـبـرـهـانـ وـالـغـوـصـ فيـ المعـانـيـ³⁹. لذلك كان يقول عن الفلـسـفةـ إنـهـ: «أـعـلـى الصـنـاعـاتـ الإنسـانـيـةـ مـنـزـلـةـ وـأـشـرـفـهاـ مـرـتـبـةـ...ـلـأـنـ عـرـضـ الـفـلـسـفـةـ فيـ عـلـمـهـ إـصـابـةـ الـحـقـ،ـ وـفـيـ عـلـمـهـ الـعـمـلـ بـالـحـقـ...ـ وـأـشـرـفـ الـفـلـسـفـةـ وـأـعـلـاـهـاـ مـرـتـبـةـ الـفـلـسـفـةـ الـأـوـلـىـ،ـ أـعـنـيـ عـلـمـ الـحـقـ الـأـوـلـ...ـ الـذـيـ هـوـ عـلـةـ كـلـ حـقـ...ـ وـعـلـمـ الـعـلـةـ أـشـرـفـ مـنـ عـلـمـ الـمـعـلـوـلـ»⁴⁰.

فالـفـلـسـفـةـ إذـنـ هـيـ عـلـمـ بـحـقـائـقـ الـأـشـيـاءـ،ـ لـأـنـ كـلـ شـيـءـ لـهـ حـقـيقـةـ،ـ وـسـبـيلـ هـذـهـ الـحـقـيقـةـ الـعـقـلـ الـذـيـ تـمـيـزـ بـهـ الـإـنـسـانـ عـنـ باـقـيـ الـكـائـنـاتـ،ـ وـفـيـ نـشـدـانـ هـذـهـ الـمـعـرـفـةـ كـمـالـ الـإـنـسـانـ وـتـمـامـهـ،ـ بـلـ لاـ يـقـصـرـ أـمـرـ الـكـنـدـيـ عـلـىـ مـعـرـفـةـ الـحـقـ،ـ وـإـنـمـاـ يـتـعـدـاهـ إـلـىـ تـأـكـيـدـهـ عـلـىـ الـعـمـلـ بـالـحـقـ،ـ وـهـنـاـ تـنـظـهـرـ الـرـوـحـ الـإـسـلـامـيـةـ فـيـ فـلـسـفـةـ الـكـنـدـيـ،ـ رـغـمـ اـجـتـرـاحـ مـبـادـئـهـ مـنـ الـفـلـسـفـةـ الـإـغـرـيقـيـةـ؛ـ فـلـاـ عـلـمـ دـوـنـ عـلـمـ،ـ أـيـ دـوـنـ نـزـوـعـ أـخـلـاقـيـ نـحـوـ تـرـكـ لـلـمـعـاـصـيـ،ـ وـطـلـبـ الـفـضـائلـ،ـ وـتـجـلـدـ فـيـ الشـدائـدـ...ـ وـبـالـتـالـيـ فـالـنـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ فـيـ فـلـسـفـةـ الـكـنـدـيـ تـرـتـدـيـ مـسـوـحـ الـحـكـمـةـ الـعـمـلـيـةـ الـتـيـ مـنـ شـأنـهـ أـنـ تـدـفـعـ الـإـنـسـانـ إـلـىـ الـانـسـجـامـ مـعـ الـكـوـنـ عـلـمـيـاـ وـعـمـلـيـاـ⁴¹.

وـيـعـدـ الـفـارـابـيـ هـوـ الـمـؤـسـسـ الـفـعـلـيـ لـلـنـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ بـالـمـعـنـىـ الشـامـلـ فـيـ الـفـلـسـفـةـ الـإـسـلـامـيـةـ؛ـ لـأـنـ أـكـثـرـ مـنـ اـهـتـمـ بـوـضـعـ قـوـاـدـعـ مـثـلـ لـلـاجـتمـاعـ الـبـشـرـيـ،ـ وـأـكـثـرـ الـفـلـاسـفـةـ اـهـتـمـاماـ بـسـعـادـةـ الـإـنـسـانـ،ـ وـهـذـاـ مـاـ يـتـجـلـىـ فـيـ كـتـابـيـهـ «أـرـاءـ أـهـلـ الـمـدـيـنـةـ الـفـاضـلـةـ»ـ وـ«تـحـصـيلـ السـعـادـةـ»ـ،ـ فـهـوـ يـعـرـفـ الـمـدـيـنـةـ الـفـاضـلـةـ بـقـوـلـهـ:ـ «ـهـيـ الـمـدـيـنـةـ الـتـيـ يـرـقـيـ الـاجـتمـاعـ فـيـهـاـ إـلـىـ التـعـاـونـ عـلـىـ الـأـشـيـاءـ الـتـيـ تـنـالـ فـيـهـاـ السـعـادـةـ»ـ،ـ فـالـسـعـادـةـ غـاـيـةـ وـكـمـالـ وـخـيـرـ،ـ بـلـ هـيـ أـكـمـلـ الـخـيـرـاتـ وـغـاـيـةـ فـيـ ذـاتـهـ⁴².ـ وـلـأـنـ الـإـنـسـانـ حـيـوـانـ اـجـتمـاعـيـ،ـ فـإـنـ سـعـادـتـهـ مـرـتـبـةـ بـالـجـانـبـ الـسـيـاسـيـ وـالـأـخـلـاقـيـ،ـ حـيـثـ هـنـاكـ تـكـامـلـ وـتـعـاـونـ وـانـسـجـامـ بـيـنـ الـأـفـرـادـ،ـ وـهـذـاـ مـاـ يـمـنـحـ الـنـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ عـنـ الـفـارـابـيـ بـعـدـ كـوـنـيـاـ تـشـارـكـيـاـ يـنـأـيـ بـالـإـنـسـانـ عـنـ الـأـنـاـنـيـةـ الـتـيـ تـوـلـدـ السـعـادـةـ الـزـائـفـةـ.

أـمـاـ فـيـ مـجـالـ الـمـعـرـفـةـ،ـ فـلـاـ شـكـ أـنـ الـحـقـيقـةـ الـكـامـلـةـ الـتـيـ تـدـورـ حـولـهـ أـبـحـاثـ الـفـلـسـفـةـ وـالـتـصـوـفـ الـإـسـلـامـيـينـ هـيـ الـلـهـ،ـ وـإـنـمـاـ مـحـورـ الـنـقـاشـ الـفـلـسـفـيـ هـوـ مـاـ سـبـيلـ إـدـرـاكـ هـذـهـ الـحـقـيقـةـ؟ـ وـإـذـ كـانـ الـكـنـدـيـ صـنـعـ طـرـيقـيـنـ إـلـىـ الـحـقـيقـةـ،ـ طـرـيقـ بـوـاسـطـةـ الـعـقـلـ وـهـوـ دـأـبـ الـفـلـاسـفـةـ،ـ وـطـرـيقـ بـوـاسـطـةـ الـذـوقـ الـإـشـرـاقـيـ،ـ وـهـوـ دـيـدـنـ الـمـتـصـوـفـةـ،ـ مـؤـمـنـاـ بـقـدـرـةـ الـعـقـلـ الـبـرـهـانـيـ عـلـىـ بـلـوـغـ الـحـقـيقـةـ.ـ فـإـنـ الـفـارـابـيـ يـطـرـحـ إـلـشـكـالـ فـيـ سـيـاقـ إـشـكـالـيـةـ الـعـلـاقـةـ بـيـنـ مـاـ هـوـ جـزـئـيـ وـبـيـنـ مـاـ هـوـ كـلـيـ،ـ وـلـعـلـهـ كـانـتـ إـحـدـيـ إـلـشـكـالـاتـ الـتـيـ طـرـحـهـاـ الـفـلـسـفـوـفـ الـأـلـمـانـيـ كـانـطـ فـيـ

39 محمد عبد الرحمن مرحبا، الكندي وفلسفته، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1985، ص50

40 الكندي، إلى المعتض بالله في الفلسفة الأولى، تحقيق أحمد فؤاد الأهلواني، دار إحياء الكتب، القاهرة، ط1، 1948، ص ص77-78

41 النـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ، درـاسـاتـ فـيـ النـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ فـيـ الـفـكـرـ الـعـرـبـيـ الـوـسـيـطـ، تـحـرـيرـ عـاطـفـ مـحـمـدـ، مـرـكـزـ الـقـاهـرـةـ لـدـرـاسـاتـ حـقـوقـ الـإـنـسـانـ، ط2، 1999، ص223

42 أبو نصر الفارابي، المدينة الفاضلة، نفلا عن ابراهيم عاتي، الإنسان في الفلسفة الإسلامية نموذج الفارابي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص214

نـقدـهـ لـلـمـيـتـافـيـزـيـقاـ؛ـ فـنـحنـ لـاـ نـسـتـطـيـعـ أـنـ نـتـجـاـزـ عـالـمـ الـظـواـهـرـ (ـالـفـيـنـوـمـيـنـ)ـ وـمـعـرـفـتـنـاـ لـاـ تـتـعـدـىـ عـالـمـ الـمـحـسـوسـ (ـالـجـزـئـيـ)ـ،ـ وـبـالـتـالـيـ فـإـنـاـ لـاـ نـبـلـغـ مـعـرـفـةـ الـمـطـلـقـ (ـالـكـلـيـ)ـ الـذـيـ هـوـ اللـهــ.ـ يـعـبـرـ الـفـارـابـيـ عـنـ هـذـهـ الـإـشـكـالـيـةـ بـالـقـوـلـ:ـ «ـإـنـ كـمـالـهـ الـمـطـلـقـ يـجـعـلـ عـقـولـنـاـ الـمـحـدـودـةـ عـاجـزـةـ عـنـ إـدـرـاكـهـ إـدـرـاكـاـ وـاضـحـاـ،ـ فـهـوـ غـيرـ مـتـنـاهـ وـعـقـولـنـاـ مـتـنـاهـيـةـ،ـ وـنـحنـ غـائـصـونـ فـيـ بـحـرـ الـمـادـةـ،ـ مـمـاـ يـصـدـنـاـ عـنـ إـدـرـاكـ الـنـورـ السـاطـعـ الـذـيـ يـبـهـرـ أـعـيـنـنـاـ»ـ.⁴³

غـيرـ أـنـ الـفـارـابـيـ فـيـ عـصـرـ الـأـنـوـارـ الـعـرـبـيـةـ يـنـحـوـ مـنـحـىـ مـخـالـفـ لـمـاـ نـحـاهـ كـانـطـ فـيـ عـصـرـ الـأـنـوـارـ الـأـوـرـوبـيـةـ،ـ فـهـوـ لـمـ يـغـلـقـ الـطـرـيـقـ كـمـاـ أـغـلـقـهـ كـانـطـ،ـ وـإـنـمـاـ فـتـحـ أـبـوـابـ الـأـمـلـ أـمـامـ الـإـنـسـانـ لـكـيـ يـعـرـفـ رـبـهـ،ـ وـيـسـعـىـ إـلـيـهـ بـاسـتـمـرـارـ؛ـ فـهـوـ يـقـولـ:ـ «ـلـاـ نـسـتـطـيـعـ أـنـ نـعـقـلـهـ إـلـاـ إـذـاـ تـجـرـدـتـ عـقـولـنـاـ تـامـاـ عـنـ الـمـادـةـ»ـ،ـ وـإـنـ هـذـاـ التـجـرـدـ يـتـحـقـقـ بـدـرـجـاتـ،ـ إـذـ كـلـمـاـ اـزـدـادـتـ مـفـارـقـتـنـاـ لـلـمـادـةـ كـلـمـاـ زـادـ تـعـلـقـتـنـاـ بـالـرـوـحـ الـمـطـلـقــ.ـ وـلـاـ شـكـ أـنـ فـيـ هـذـاـ الـطـرـيـقـ اـتـجـاهـاـ صـوـفـيـاـ وـاضـحـاـ يـهـدـفـ إـلـىـ تـصـفـيـةـ الـنـفـسـ مـنـ شـوـانـبـ الـمـادـةـ وـالـمـحـسـوسـاتـ،ـ وـرـغـمـ صـعـوبـةـ هـذـهـ التـصـفـيـةـ،ـ فـهـيـ تـبـقـىـ طـرـيـقـاـ مـفـتوـحـاـ،ـ وـمـشـرـوـعاـ دـائـمـاـ،ـ لـمـنـ اـسـتـطـاعـ إـلـىـ ذـلـكـ سـبـيلـاـ،ـ مـنـ أـصـحـابـ الـبـصـيرـةـ وـالـرـاسـخـينـ فـيـ الـعـلـمـ»ـ.⁴⁴

وـكـمـاـ يـظـهـرـ،ـ فـالـفـارـابـيـ يـشـيرـ صـرـاحـةـ إـلـىـ الـمـعـرـفـةـ الـإـشـرـاقـيـةـ،ـ مـتـأـثـرـاـ بـنـظـرـيـةـ الـفـيـضـ الـأـفـلـوـطـيـنـيـةـ،ـ وـمـدـعـماـ إـيـاـهـاـ بـمـقـومـاتـ اـسـلـامـيـةـ،ـ وـمـحـورـ هـذـهـ الـمـعـرـفـةـ أـنـ يـتـجـرـدـ الـإـنـسـانـ مـنـ حـبـ الـمـادـةـ لـوـ اـسـتـطـاعـ ذـلـكـ،ـ فـيـحـدـثـ لـهـ نـوـعـ مـنـ الـكـشـفـ،ـ وـيـتـذـوقـ أـشـيـاءـ لـمـ يـسـبـقـ أـنـ مـرـ بـهـاـ فـيـ عـالـمـ الـمـادـةـ،ـ وـهـيـ مـعـرـفـةـ لـاـ تـحـصـلـ إـلـاـ لـذـوـيـ الـنـفـوسـ الـصـافـيـةـ الـتـيـ تـطـهـرـتـ مـنـ الشـهـوـاتـ وـتـنـزـهـتـ عـنـ الـانـفـعـالـاتـ،ـ فـإـذـاـ بـهـاـ تـصـبـحـ كـالـمـرـاـيـاـ الـصـقـيـلـةـ الـتـيـ يـشـرـقـ عـلـيـهـاـ الـنـورـ الـإـلـهـيـ؛ـ لـأـنـ أـصـحـابـهـاـ يـتـصـلـوـنـ بـالـعـالـمـ الـسـمـاـوـيـ.ـ فـطـوـبـيـ لـلـإـنـسـانـ،ـ أـيـ إـنـسـانـ،ـ أـنـ تـتـحـصـلـ لـهـ هـذـهـ الـمـعـرـفـةـ،ـ وـتـتـحـقـقـ لـهـ الـلـذـةـ الـعـلـيـاـ الـتـيـ هـيـ سـعـادـةـ حـقـيقـيـةـ.

وـيـرـتـبـطـ التـصـوـفـ عـنـدـ الـفـارـابـيـ بـنـظـرـيـةـ الـمـعـرـفـةـ إـذـ كـلـمـاـ اـتـسـعـتـ مـعـارـفـ الـمـرـءـ وـتـنـوـعـتـ مـدارـكـهـ اـقـتـرـبـ مـنـ الـعـالـمـ الـرـوـحـيـ،ـ وـأـصـبـحـتـ رـوـحـهـ أـهـلـاـ لـاـسـتـقـبـالـ الـأـنـوـارـ الـإـلـهـيـةـ.ـ وـبـهـذـاـ الـمـعـنـىـ،ـ يـمـكـنـ أـنـ نـعـدـ الـفـارـابـيـ مـنـ أـهـلـ التـصـوـفـ إـذـ اـعـتـرـنـاـ رـأـيـهـ بـأـنـ «ـالـمـعـرـفـةـ هـيـ إـشـرـاقـ مـنـ الـعـقـلـ الـفـعـالـ عـلـىـ الـعـقـلـ الـهـيـوـلـانـيـ»ـ،ـ أـوـ اـعـتـرـنـاـ مـنـ أـصـحـابـ التـصـوـفـ الـفـلـسـفيـ «ـالـذـيـ يـعـدـ أـصـحـابـهـ إـلـىـ مـزـحـ أـذـوـاقـهـ الـصـوـفـيـةـ بـأـنـظـارـهـمـ الـعـقـلـيـةـ»ـ.⁴⁵ـ وـسـوـاءـ كـانـ هـذـاـ أوـ ذـاكـ،ـ فـإـنـ فـلـسـفـةـ الـفـارـابـيـ تـتـمـخـضـ عـنـ نـزـعـةـ اـنـسـانـيـةـ شـمـولـيـةـ؛ـ لـاـ تـجـزـئـ الـإـنـسـانـ بـيـنـ مـادـةـ وـرـوـحـ،ـ جـسـدـ وـعـقـلـ،ـ وـلـاـ تـعـلـيـ مـنـ جـانـبـ عـلـىـ حـسـابـ جـانـبـ آـخـرـ،ـ بـلـ إـنـ الـإـنـسـانـ هـوـ وـحدـةـ مـتـكـمـلـةـ،ـ وـكـمـالـهـاـ إـنـمـاـ فـيـ اـتـصالـهـ بـالـرـوـحـ الـمـبـثـوـثـةـ فـيـهـاـ.ـ وـيـكـفـيـ أـنـ نـشـيرـ إـلـىـ رـأـيـهـ فـيـ السـعـادـةـ؛ـ فـهـيـ عـنـدـهـ تـتـحـقـقـ بـالـكـمـالـ الـعـقـلـيـ،ـ عـنـدـمـاـ

43 جـمـيـلـ صـلـيـيـاـ،ـ تـارـيـخـ الـفـلـسـفـةـ الـعـرـبـيـةـ،ـ الشـرـكـةـ الـعـالـمـيـةـ لـلـكـتـابـ،ـ بـيـرـوـتـ،ـ 1989ـ،ـ صـ149ـ

44 اـبـراهـيمـ عـاتـيـ،ـ الـإـنـسـانـ فـيـ الـفـلـسـفـةـ الـإـسـلامـيـةـ،ـ مـ،ـ مـ،ـ صـ75ـ

45 نـفـسـهـ،ـ صـ185ـ

تصير المعقولات التي هي بالقوة معقولات بالفعل⁴⁶، أو بالكمال الروحي عندما تصير النفس من الكمال في الوجود إلى حيث لا تحتاج إلى مادة⁴⁷، والكمالين غير مفصولين بل يتقاطعان ويتّحدان في الإنسان الكامل.

ويجب أن نشير إلى أن التصوف عند الفارابي ليس شأنًا نظرياً كما يحبب إلى البعض قوله، فالتأمل في حياته يرى أنه كان يعيش فلسفته الصوفية، فمعهود عنه أنه كان يلبس الصوف^{48*}، ترميزاً منه على سعيه إلى تطهير نفسه وتزيكيتها، من احتساب الملذات، وتنبي عن الشهوات، وزهد في الحياة... لكن ليس إلى الدرجة التي يتهم فيها الكثيرون حياة المتصوفة بأنها انقطاع عن حياة الدنيا وانعزال عن الناس، وإنما كان ليقبل اشتغاله حارساً لأحد البيوتين في الشام وهو في سن متقدمة حتى يكسب معاشه، رغم ما كان يمكن أن يوفره له قربه من بساط سيف الدولة من مال وجاه.

وإذا كانت الفلسفة الإسلامية كما تبين مع بعض أقطابها قد أسست تصوراً عن الإنسان لا يخرج به عن الإطار العام الذي حدد القرآن، فإن تصور المتصوفة للإنسان لا يخرج عن الإطار الذي يرسمه الدين الإسلامي أيضاً، فالإسلام في جوهره هو أن يسلم المرء نفسه استجابة لحافظ ورثه الإنسان في فطرته وجلته، وأن ينشد اطمئنان النفس ورضاحتها اللذين لا يتحققان إلا إذا انكشف ربه وعده، فكانت هذه هي الغاية من خلق الإنسان نفسه⁴⁹. وإن تسليم النفس للخالق في نظر المتصوفة لا يعني على الإطلاق أن يغلق الإنسان عقله تمام الاغلاق عن كل معرفة وتجربة إنسانية، فالقرآن على عكس ذلك يحض المؤمن على التفكير والتأمل في آفاق الوجود، والبحث في الطبيعة والإنسان وأسرارهما، ولذلك فموقف المتصوفة من النزعه الإنسانية - على غرار موقف الفلسفه - لا يخرج عن هذا الإطار، وفي وسع كل من يعرف القرآن الكريم معرفة محبكة أن يتلمس أثره في كبار متصوفة الإسلام كما تلمسنا أثره في كبار الفلسفه، وعليه فإن التصوف الإسلامي كان مطبوعاً بنزعه عقلانية.

وفي هذا السياق، لابد من التسطير على مسألة مهمة، وهي أن ما يهمنا من التجربة الصوفية هو بعدها المعرفي لا الوجودي؛ ذلك أنه مهما قيل عن بعد الوجودي في التجربة الصوفية يبقى ناقصاً، على اعتبار أن التجربة الصوفية كما صرحت ببارها قابلة للمعايشة لكن غير قابلة للتداول، وقد عبر الغزالي عن هذا التنطع بقوله: «فكان ما كان مما لست أذكره... فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر»⁵⁰. وبذلك تتحدد **أهم صفة في التجربة الوجودية للمتصوفة، وهي أنها مصبوغة بالخصوصية، وبالدرجات الزهدية، وإن**

46 أبو نصر الفارابي، كتاب السياسة المدنية الملقب بمبادئ الموجودات، تحقيق فوزي نجار، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، اهداءات 1998، ص 55
47 المدينة الفاضلة، ص 85

48* لقد سميت الصوفية بذلك الاسم نسبة إلى ظاهر اللباس عند المتصوفين، لأنهم اختاروا لباس الصوف؛ لكونه لباس الأنبياء والصالحين من عباد الله. ولأن لبس الصوف أقرب إلى التواضع، وإبقاء عن تقليله من الدنيا، وزهدهم فيما تدعى النفس إليه من اللباس الفاخر. أنظر الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، تحقيق أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1997، ص 3

49 علي عيسى عثمان، الإنسان عند الغزالي، تعریب خیری حماد، مكتبة الأنجلو المصرية، دار الجيل للطباعة، د ط، د ت، ص 13

50 أبو حامد الغزالي، المنفذ من الظلال والموصل إلى ذي الجلال، تحقيق محمد أبو ليلة وعبد الرحيم رفعت، جمعية البحث في القيم والفلسفه، واشنطن، 2001، ص 133

على درجة يصل إليها المتصوف هي تلك التي يفني فيها صفاته البشرية في الذات الإلهية. ومن هنا تتضح مركبة الإنسان عند المتصوفة، وهي ذات بعد معرفي لأنها تشرط على الإنسان أن يكون عارفاً بالله، متعقلاً لوجوده، متأملاً في كل تجليات ملكوته، متفكراً ومتصلًا ب hepatitis. وذات بعد وجودي، حيث يصبح عبارة عن كيان متحد بالله مباشرة، خارقاً بذلك جدار التنزيه الإطلاقي لفكرة التوحيد الالهوية. وإن اشترطوا لهذا الاتحاد التجدد من الطبيعة المادية، فإن هذا التجدد لا يؤدي عندهم إلى خروج الإنسان عن إنسانيته، بقدر ما هو ارتقاء في إنسانيته إلى الكمال.⁵¹

وعليه، فإذا كان تمجيد الفلسفه للعقل لا يعني أن نجعل من العقل سلطاناً مطلقاً كما انتهت إلى ذلك الحداثة الغربية، فإن تمجيد المتصوفة للروح لا يعني تغيب العقل وقدراته الخاصة؛ ولنا أن ننظر في منقذ الغزالي من الظلال، وهو الكتاب الذي يؤرخ فيه لحياته الفكرية والروحية، كيف أن اللحظة الدرامية التي يتوصل فيها الغزالي إلى الاطمئنان النفسي في اكتشاف الحقيقة الروحية، ارتبطت بجهده العقلي أولاً، وتهيئة قلبه لاستقبال النور ثانياً؛ فالعقل وحده قد لا يفيد في معرفة الله، لكن لا مناص منه في توجيه القلب توجيهاً آمناً لتلقي هذه المعرفة.⁵²

لقد كان بحث الغزالي متحمولاً حول فك التناقض القائم بين نشدان المعرفة في طريق الله، وهو نشدان فطري في الإنسان؛ لأن من شأن كل إنسان أن يتساءل حول الغاية من الوجود، ويرزدّاد هذا التساؤل تكريساً عندما يعي الإنسان زمانيته المتناهية، وأن الموت آت لا محالة، فماذا يوجد بعد الموت يا ترى؟ هل هناك حياة أخرى؟ وإذا كان الله يعدهنا بحياة أخرى، فما السبيل للتأكد من وجود الله وبالتالي وجود حياة ما بعد الموت؟ ومثل هذه الأسئلة هي المسؤولة عن القلق الذي يتملك الإنسان تجاه الغيب، وهي الحافز إلى نشدان الطمأنينة الروحية. وبين اتباع ونشدان الشهوات، وهو أيضاً نشدان فطري في الإنسان؛ لأن من شأن كل إنسان أن يسعى إلى إشباع رغباته، فالله «زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسمومة والأنعام والحرث»⁵³، وإن مثل هذه الشهوات تختزل سعادة الإنسان فيما هو مادي وتصرفة عن الرضى والسعادة الروحية.⁵⁴

ولئن كانت أبحاث الغزالي تدور حول فك هذا التناقض بين ما هو روحي وبين ما هو مادي، فلأنه كان يبحث عن سعادة الإنسان، وفي سبيل هذه السعادة بحث المسألة الأولى المتعلقة بمعرفة الله،

51 مروة حسين، النزاعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، دار الفارابي بيروت، ط2، 2002، ص197

52 علي عيسى عثمان، الإنسان عند الغزالي، م، م، ص14

53 سورة آل عمران، الآية 15

54 الإنسان عند الغزالي، م، م، ص19

متـسائلـاً حـول حدـود المـعـرـفـة وكـيف يمكن لـلـإـنـسـان أـن يكون مـتـأـكـداً مـن أـن ما يـعـرـفـه مـطـابـق لـلـحـقـيقـة؟⁵⁵. وـفـي هـذـا الشـقـ من الـبـحـث أـسـسـ الغـزـالـي نـزـعـة إـنـسـانـيـة قـائـمـة عـلـى «الـذـاتـيـة»، لـكـنـها لـيـسـت «كـالـذـاتـيـة» الـتـي دـشـنـها دـيـكـارـتـ فيـ العـصـرـ الـحـدـيـثـ والـتـيـ كـانـتـ عـصـبـ النـزـعـةـ إـنـسـانـيـةـ الـغـرـبـيـةـ؛ إـفـاـذاـ كـانـتـ الـذـاتـيـةـ عـنـدـ دـيـكـارـتـ تـقـوـمـ عـلـىـ العـقـلـ وـلـاـ شـيـءـ آـخـرـ غـيرـ العـقـلـ، طـالـماـ أـنـ الشـكـ يـطـالـ جـمـيعـ الـأـشـيـاءـ إـلـاـ فـكـرـةـ الشـكـ فيـ حـدـ ذـاتـهـ، وـهـوـ مـاـ اـنـتـهـىـ بـهـ إـلـىـ جـعـلـ العـقـلـ هوـ الـمـعـيـارـ الـوـحـيدـ وـالـأـوـحـدـ لـلـمـعـرـفـةـ وـالـحـقـيقـةـ، وـتـابـعـهـ فيـ ذـلـكـ فـلـاسـفـةـ الـأـنـوـارـ وـالـعـصـرـ الـحـدـيـثـ فيـ جـعـلـ الـذـاتـ مـرـكـزاـ لـلـمـعـرـفـةـ وـمـعـيـارـاـ لـإـنـتـاجـ الـمـعـنـىـ، وـإـلـعـالـهـ مـنـ شـأـوـ الـعـقـلـ وـشـأـنـهـ، وـالـارـتـقـاءـ بـهـ إـلـىـ مـقـامـ الـأـسـطـوـرـةـ. فـإـنـ الـذـاتـيـةـ الـتـيـ دـشـنـهاـ الغـزـالـيـ لـاـ يـعـدـ الـعـقـلـ وـحـدـهـ هوـ مـحـورـهـ، بلـ إـنـ الشـكـ الغـزـالـيـ طـالـ قـدـرـاتـ الـعـقـلـ نـفـسـهـاـ⁵⁶، وـلـنـاـ أـنـ نـتـأـمـلـ فيـ سـيـرـتـهـ الـذـاتـيـةـ الـمـبـسـوـطـةـ فيـ «ـالـمـنـقـذـ مـنـ الـضـلـالـ»ـ، فـهـوـ يـقـوـلـ عـلـىـ لـسـانـ الـمـحـسـوـسـاتـ: «ـبـمـ تـأـمـنـ أـنـ تـكـوـنـ ثـقـتـكـ بـالـعـقـليـاتـ كـثـقـتكـ بـالـمـحـسـوـسـاتـ، وـقـدـ كـنـتـ وـاثـقـاـ بـيـ، فـجـاءـ حـكـمـ الـعـقـلـ فـكـذـبـيـ، وـلـوـ حـاـكـمـ الـعـقـلـ لـكـنـ تـسـتـمـرـ فيـ تـصـدـيقـيـ... وـلـعـلـ وـرـاءـ إـدـرـاكـ الـعـقـلـ حـاـكـمـاـ آـخـرـ إـذـاـ تـجـلـيـ كـذـبـ الـعـقـلـ فيـ حـكـمـهـ، كـمـاـ تـجـلـيـ حـاـكـمـ الـعـقـلـ فـكـذـبـ الـحـسـ فيـ حـكـمـهـ. وـعـدـمـ تـجـلـيـ ذـلـكـ إـدـرـاكـ لـاـ يـدـلـ عـلـىـ اـسـتـحـالـتـهـ»ـ.⁵⁷

أـمـاـ الـحـلـ الـذـيـ وـجـدـهـ الغـزـالـيـ فـيـ الـخـرـوجـ مـنـ مـعـمـعـةـ الشـكـ الـتـيـ أـسـقـطـ نـفـسـهـ فـيـهاـ، فـهـوـ حـلـ صـوـفيـ يـتـمـ عـنـ طـرـيقـ نـورـ إـلـهـيـ؛ وـفـيـ هـذـاـ السـيـاقـ يـقـوـلـ: «ـوـعـادـتـ النـفـسـ إـلـىـ الصـحـةـ وـالـاعـدـالـ، وـرـجـعـتـ الـضـرـورـيـاتـ الـعـقـلـيـةـ مـقـبـولـةـ مـوـثـقـاـ بـهـاـ عـلـىـ أـمـنـ وـيـقـيـنـ، وـلـمـ يـكـنـ ذـلـكـ بـنـظـمـ دـلـيلـ وـتـرـتـيـبـ كـلـامـ، بلـ بـنـورـ قـذـفـهـ اللـهـ تـعـالـيـ فـيـ الصـدـرـ، وـذـلـكـ النـورـ هوـ مـفـتـاحـ أـكـثـرـ الـمـعـارـفـ»ـ.⁵⁸ وـبـالـتـالـيـ، إـفـاـذاـ كـانـ دـيـكـارـتـ وـجـدـ مـخـرـجـهـ مـنـ الشـكـ فـيـ الـذـاتـ الـمـفـكـرـةـ وـالـتـيـ صـاغـهـ فـيـ الـكـوـجيـطـوـ: «ـأـنـاـ أـفـكـرـ إـذـنـ أـنـاـ مـوـجـودـ»ـ، وـهـيـ الـذـاتـ الـتـيـ شـكـلـتـ مـحـورـ الـنـزـعـةـ إـنـسـانـيـةـ فـيـ الـفـكـرـ الـغـرـبـيـ، فـإـنـ الغـزـالـيـ يـصـيـغـ مـبـدـأـ لـلـذـاتـيـةـ تـحـفـظـ فـيـهـ عـلـىـ عـنـصـرـهـ الـرـوـحـيـ، وـهـوـ ذـلـكـ النـورـ إـلـهـيـ الـذـيـ لـاـ يـتـحـقـقـ لـلـإـنـسـانـ إـلـاـ بـاستـعـدـادـ عـقـليـ لـاـسـتـقـبـالـهـ.

وـلـأـنـ الـمـوـقـفـ إـنـسـانـيـ الـحـقـيـقـيـ بـالـمـعـنـىـ السـامـيـ لـلـكـلـمـةـ هوـ الـذـيـ يـمـثـلـ مـقاـوـمـةـ إـنـسـانـ لـكـلـ ماـ يـرـيدـ أـنـ يـسـحـقـ إـنـسـانـيـتـهـ أـوـ أـنـ يـقـضـيـ عـلـىـ نـسـمـةـ الـحـرـيـةـ وـالـإـنـسـانـيـةـ فـيـهـ، فـإـنـ الغـزـالـيـ دـافـعـ عـنـ هـذـاـ الـمـوـقـفـ؛ ذـلـكـ أـنـاـ نـفـهـمـ مـنـهـجـ الغـزـالـيـ فـيـ الـبـحـثـ بـأـنـهـ دـعـوـةـ إـلـىـ التـحـرـرـ مـنـ التـبـعـيـةـ الـعـقـلـيـةـ وـالـتـقـلـيـدـ الـجـامـدـ، وـهـيـ دـعـوـةـ حـيـةـ مـتـجـدـدـةـ عـبـرـ الـزـمـانـ؛ لـأـنـاـ دـعـوـةـ لـلـإـنـسـانـ مـنـ أـجـلـ تـحـقـيقـ إـنـسـانـيـتـهـ، لـأـنـ الغـزـالـيـ يـعـنـىـ أـوـلـ مـاـ يـعـنـىـ بـالـإـنـسـانـ

55 كانـ هـذـاـ هـوـ السـوـالـ الـذـيـ شـيـدـ عـلـىـ نـظـامـهـ الـفـكـرـيـ، مـبـتـداـ بـالـشـكـ الـذـيـ أـصـابـهـ بـشـيـءـ مـنـ الـاـنـهـيـارـ الـعـقـلـيـ وـالـبـدـنـيـ جـرـاءـ تـكـلـفـهـ فـيـ الـبـحـثـ، مـنـعـزـلاـ عـنـ حـيـةـ النـاسـ، مـتـخـلـياـ عـنـ مـنـصـبـهـ الـبـارـزـ، يـطـوـفـ فـيـ أـرـجـاءـ الـمـعـمـورـةـ فـقـرـةـ دـامـتـ أـكـثـرـ مـنـ تـسـعـ سـنـوـاتـ سـطـرـ خـالـلـهـ كـتـابـهـ «ـإـحـيـاءـ عـلـومـ الـدـيـنـ»ـ، الـذـيـ كـانـ يـدـرـسـهـ فـيـ بـغـدـادـ وـدـمـشـقـ ثـمـ فـيـ الـمـدـرـسـةـ الـنـظـامـيـةـ فـيـ نـيـساـبـورـ، قـلـ أـنـ يـعـتـزـلـ حـيـةـ النـاسـ مـرـةـ آخـرـ فـيـ مـسـقـطـ رـأـسـهـ مـكـرـسـاـ حـيـاتـهـ لـلـتـصـوـفـ وـلـمـرـيـدـيـهـ. أـنـظـرـ عـلـىـ عـيـسـيـ عـثـمـانـ، إـنـسـانـ عـنـدـ الغـزـالـيـ، مـ، مـ، صـ 22

56 إنـ الشـكـ الـمـنـهـجـيـ الـذـيـ يـعـدـ عـامـلاـ تـأـسـيـسـاـ لـلـنـزـعـةـ إـنـسـانـيـةـ فـيـ الـفـكـرـ الـغـرـبـيـ بـأـدـأـ فـيـ الـفـكـرـ الـإـسـلـامـيـ قـبـلـ دـيـكـارـتـ بـأـكـثـرـ مـنـ خـمـسـةـ قـرـونـ مـعـ الغـزـالـيـ، وـهـنـاكـ بـعـضـ الـشـوـاهـدـ الـتـيـ تـقـيـدـ اـطـلـاعـ أـبـ الـفـلـسـفـةـ الـحـدـيـثـةـ عـلـىـ كـتـابـ "ـالـمـنـقـذـ مـنـ الـظـلـالـ"ـ. أـنـظـرـ مـحـمـودـ حـمـدـيـ زـقـرـوقـ، الـمـنـهـجـ الـفـلـسـفـيـ بـيـنـ الـغـزـالـيـ وـدـيـكـارـتـ، دـارـ الـمـعـارـفـ، الـقـاهـرـةـ، طـ4ـ، 1997ـ. صـ 12ـ - 13ـ

57 الغـزـالـيـ، الـمـنـقـذـ مـنـ الـظـلـالـ وـالـمـوـصـلـ إـلـىـ ذـيـ الـجـلـالـ، مـ، مـ، صـ 66ـ

58 المـصـدـرـ نـفـسـهـ، صـ 67ـ

في أعماله، بل إن فلسفته تمحورت كلها حول الطبيعة الإنسانية، كما أنها فلسفة للإنسان في أفكاره وقواعد تفكيره، ذلك أن الغزالي قبل أن يستقر إلى الصوفية ويستقبل الإيمان الذي قدفه الله في قلبه، كان قد طاف مختلف الاتجاهات الفكرية السائدة في عصره، خاصة تلك المحسوبة على حقل الفلسفة.

وإذا كان قد شاع عن الغزالي أنه انتقد الفلسفة والمستغلين في حقلها، وبالتالي منسوب إليه إجهاض نزعتها الإنسانية، صار من واجبنا تصحيح هذه المغالطة، فالغزالي وإن كان محسوبا على أهل التصوف فهو فيلسوف بالمعنى الدقيق للكلمة. أما نقاده، فلا يطال إلا الموضوعات التي سارع أصحابها إلى المس بالوجود المطلق للذات الإلهية، وبهذا الصدد يقول: «يجب تكفيـرـهم في ثلاثة مـسـائل: إـحـدـاـهـاـ قولـهـمـ بـقـدـمـ الـعـالـمـ، وـالـثـانـيـةـ قولـهـمـ إـنـ اللـهـ يـعـلـمـ الـكـلـيـاتـ لـاـ الجـزـئـاتـ، وـالـثـالـثـةـ انـكـارـهـمـ بـعـثـ الأـجـسـادـ...⁵⁹»، وإننا في الحقيقة نؤاخـذـ علىـ الغـالـيـ سيـاسـةـ التـكـفـيرـ الـتـيـ اـنـتـهـجـهـاـ، وـالـتـيـ تـحـولـتـ بـعـدـهـ إـلـىـ حـمـلـةـ شـرـسـةـ عـلـىـ الـفـلـسـفـةـ، وـلـكـنـنـ نـشـيرـ إـلـىـ أـنـ القـضـاـيـاـ الـتـيـ أـثـارـهـاـ وـهـيـ مـحـطـ التـكـفـيرـ، لـاـ تـعـدـوـ أـنـ تـكـوـنـ مـجـدـ قـضـاـيـاـ عـقـلـيـةـ حـوـلـ الـكـوـنـ، وـبـالـتـالـيـ لـابـدـ أـنـ تـشـيرـ النـقـاشـ وـالـخـلـافـ، لـكـنـ أـصـحـابـ التـكـفـيرـ يـسـقطـونـ عـلـىـ الـفـلـسـفـةـ مـاـ أـسـقـطـهـ الغـالـيـ حـوـلـ قـضـاـيـاـ جـزـئـيـةـ لـمـ يـتـفـقـ حـوـلـهـ الـفـلـاسـفـةـ الـمـسـلـمـوـنـ أـنـفـسـهـمـ؛ فـالـكـنـدـيـ يـرـىـ أـنـ الـعـالـمـ مـحـدـثـ خـلـقـهـ اللـهـ مـنـ عـدـمـ، أـمـاـ الـفـارـاـيـ فـيـعـتـبـرـ الـعـالـمـ فـيـضـ مـنـ اللـهـ مـاـ يـعـنـيـ أـنـهـمـاـ مـنـ جـوـهـرـ وـاحـدـ، فـيـ حـيـنـ جـعـلـ اـبـنـ رـشـدـ مـنـ الـعـالـمـ مـعـلـوـلـ لـعـلـةـ سـابـقـةـ هـيـ اللـهـ، بـيـنـمـاـ أـبـيـ اـبـنـ طـفـيـلـ إـلـاـ أـنـ يـعـدـ تـرـجـيـحـ أـحـدـ الرـأـيـنـ لـتـسـاوـيـهـمـاـ فـيـ الـحـجـجـ الـعـقـلـيـةـ، وـاـكـتـفـىـ بـالـقـوـلـ عـلـىـ لـسـانـ «ـحـيـ»ـ أـنـ اللـهـ مـوـجـبـ الـوـجـوـدـ⁶⁰ـ.ـ وـإـذـاـ كـانـ اـبـنـ سـيـنـاـ قـصـرـ الـبـعـثـ عـلـىـ الـأـرـوـاحـ لـأـنـ الـرـوـحـ هـيـ مـحـلـ الشـعـورـ بـالـعـذـابـ أـوـ الـثـوـابـ وـلـأـنـ الـأـجـسـادـ فـانـيـةـ، فـإـنـ الـكـنـدـيـ قـبـلـهـ جـعـلـ الـبـعـثـ لـلـأـرـوـاحـ وـالـأـجـسـادــ.ـ أـمـاـ اـقـتـصـارـ الـعـلـمـ الإـلـهـيـ عـلـىـ الـكـلـيـاتـ فـيـ نـظـرـ اـبـنـ سـيـنـاـ فـلـأـجـلـ توـسيـعـ هـامـشـ الـفـعـلـ الـإـنـسـانـيـ دـفـاعـاـ عـنـ حـرـيـتـهـ....ـ لـذـكـ، قـلـنـاـ إـنـ هـذـهـ قـضـاـيـاـ خـلـافـيـةـ شـأـنـهـاـ شـأـنـ كـلـ الـقـضـاـيـاـ الـفـلـسـفـيـةـ فـيـ كـلـ مـكـانـ وـزـمـانـ، وـلـاـ يـرـقـ الـخـلـافـ فـيـهـاـ إـلـىـ تـحـرـيـمـ الـفـلـسـفـةـ وـتـكـفـيرـ الـمـسـتـغـلـيـنـ فـيـ حـقـلـهـاـ.ـ وـلـعـلـ الـغـالـيـ نـفـسـهـ فـطـنـ إـلـىـ وـرـطـةـ التـكـفـيرـ الـتـيـ أـسـقـطـ نـفـسـهـ وـتـابـعـيـهـ فـيـهـاـ، فـهـوـ يـقـوـلـ:ـ لـاـ يـلـزـمـ كـفـرـ الـمـؤـولـيـنـ مـاـ دـامـوـاـ يـلـازـمـوـنـ قـانـونـ التـأـوـيلـ⁶¹ـ،ـ وـكـانـنـاـ بـهـ يـعـدـلـ عـمـاـ نـهـجـهـ مـنـ تـكـفـيرـ فـيـ حـقـ الـفـلـاسـفـةـ،ـ وـلـكـنـ «ـهـيـهـاتـ»ـ،ـ فـلـاـ رـجـعـةـ عـمـاـ اـسـتـسـرـيـ كـقـانـونـ جـدـيدـ،ـ حـتـىـ اـسـتـحـكـمـتـ هـذـهـ الـوـرـطـةـ عـقـولـ الـفـقـهـاءـ،ـ وـأـصـبـحـتـ كـلـ الـفـلـسـفـةـ مـوـضـعـ تـكـفـيرـ،ـ وـمـنـ هـنـاـ بـدـأـ اـجـهـاـضـ النـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ فـيـ الـفـلـسـفـةـ الـعـرـبـيـةـ الـإـسـلامـيـةـ.

وفي ظل هذا التوتر القائم بين الفلسفـةـ وـالـفـقـهـاءـ،ـ وـشـيـوـعـ الـاحـتـجاجـ مـنـ طـرـفـ أـنـصـارـ النـقـلـ عـلـىـ قـصـورـ الـعـقـلـ وـمـحـدـودـيـتـهـ فـيـ إـدـرـاكـ الـحـقـيـقـةـ،ـ وـأـنـ لـاـ حـقـيـقـةـ غـيـرـ حـقـيـقـةـ النـصـ الـمـقـدـسـ...ـ ظـلـتـ مـسـأـلـةـ

59 الغـالـيـ، تـهـافـتـ الـفـلـاسـفـةـ، تـحـقـيقـ سـلـيـمـانـ دـنـيـاـ، طـ2ـ، الـقـاهـرـةـ 1955ـ، صـ393ـ.

60 اـبـنـ طـفـيـلـ، حـيـ بـنـ يـقـظـانـ، مـؤـسـسـةـ هـنـدـاـيـ لـلـتـعـلـيمـ وـالـقـاـفـةـ، دـطـ، 2016ـ، صـ28ـ-ـ29ـ.

61 الغـالـيـ، فـيـصـلـ التـقـرـفـةـ، نـقـلاـ عـنـ أـنـورـ مـغـيـتـ، النـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ عـنـ الـفـلـاسـفـةـ الـمـسـلـمـيـنـ، درـاسـاتـ فـيـ النـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ فـيـ الـفـلـسـفـةـ الـعـرـبـيـ وـالـوـسـيـطـ، مـرـكـزـ الـقـاهـرـةـ لـدـرـاسـاتـ حـقـوقـ الـإـنـسـانـ، 1999ـ، صـ166ـ.

التوافق بين الفلسفة والدين على رأس المسائل التي اشتغلت عليها الفلسفة الإسلامية، تتوالى فيها الاجتهادات وتقدم حولها الآراء، حتى تصل إلى ابن رشد، وهو أشهر من كتب عنها وعمق النظر فيها، فحكيم قرطبة يحاول التوفيق بين الحكمة والشريعة، مستلهما آيات من الذكر الحكيم، وهي آيات تحت الإنسان المسلم على التفكير والتدبر في ملوكـته، والتأمل في مخلوقـاته، معرفـا الفلـسـفة بأنـها «نظر عقـلي في المـصنـوعـات من جـهة دـلالـتها عـلـى الصـانـعـ»، وبالتالي فالـفلـسـفة بما هي استخدام عـقـلي من شأنـها أن توصل الإنسان بالـخـالـقـ أـحـسـنـ اـتـصالـ⁶².

وبـلغـةـ ابنـ رـشدـ، فالـعـقـلـ هوـ سـبـبـ الـاتـصالـ بـيـنـ الـخـالـقـ وـالـمـخـلـوقـ، وـمـتـىـ صـارـ الإـنـسـانـ مـتـصـلـاـ بـالـلـهـ صـارـ مـثـلـهـ عـارـفـاـ بـمـكـنـونـاتـ الـكـوـنـ. أـمـاـ كـيـفـ يـتـصـلـ الإـنـسـانـ بـالـلـهـ؟ فـبـالـانـقـطـاعـ إـلـىـ الـدـرـسـ وـالـبـحـثـ وـالـتـفـكـرـ وـالـتـنـقـيـبـ فـيـ حـجـبـ الـأـسـرـارـ الـتـيـ تـكـنـتـ الـكـوـنـ، فـإـنـهـ مـتـىـ خـرـقـ هـذـاـ الـحـجـابـ وـوـقـفـ عـلـىـ كـنـهـ الـأـمـورـ، وـجـدـ نـفـسـهـ وـجـهـاـ لـوـجـهـ أـمـامـ الـحـقـيـقـةـ الـأـبـدـيـةـ⁶³. أـمـاـ فـيـ تـعـرـيـفـهـ لـلـعـقـلـ، فـيـقـوـلـ: «إـنـهـ هـوـ الـنـفـسـ ذـاتـهاـ حـيـنـ تـكـوـنـ عـلـىـ هـيـئـةـ اـسـتـعـادـاـ لـإـدـرـاـكـ مـعـانـيـ الـأـشـيـاءـ»، وـحـيـنـئـذـ فـإـنـ الـعـقـلـ عـنـهـ ذـاتـ أوـ جـوـهـرـ روـحـيـ، أوـ بـالـأـخـرـ هـوـ عـقـلـ هـيـوـلـاـنـيـ مـتـصـلـ بـالـعـقـلـ الـفـعـالـ؛ وـبـالـتـالـيـ لـهـ صـورـتـيـنـ؛ صـورـةـ روـحـيـةـ خـالـدـةـ مـتـصـلـةـ بـالـلـهـ، وـصـورـةـ مـادـيـةـ فـانـيـةـ مـتـصـلـةـ بـالـجـسـدـ⁶⁴. وـعـلـيـهـ، فـإـنـ ابنـ رـشدـ يـمـجـدـ الـعـقـلـ كـسـبـيـلـ إـلـىـ الـمـعـرـفـةـ، لـكـنـ دـوـنـ أـنـ يـعـنـيـ هـذـاـ أـنـهـ يـقـصـيـ الـجـانـبـ الـأـخـرـ مـنـ الـإـنـسـانـ، وـهـوـ الـجـانـبـ الـرـوـحـيـ؛ فـلـاـ سـلـطـةـ لـهـذـاـ الـعـقـلـ الـهـيـوـلـاـنـيـ عـلـىـ سـبـرـ أـغـوـارـ الـكـوـنـ إـلـاـ بـمـعـونـةـ مـنـ الـعـقـلـ الـفـعـالـ.

يـقـوـلـ ابنـ رـشدـ إـنـ «أـعـظـمـ عـبـادـةـ تـقـدـمـ لـلـخـالـقـ وـأـشـرـفـهاـ هـيـ مـعـرـفـةـ مـخـلـوقـاتـهـ وـمـصـنـوعـاتـهـ لـأـنـ ذـلـكـ بـمـثـابـةـ مـعـرـفـتـهـ⁶⁵، وـإـنـاـ لـاـ نـشـكـ فـيـ أـنـ هـذـهـ عـبـادـةـ يـرـضـيـ اللـهـ عـنـهـ، بـلـ وـيـحـثـ الإـنـسـانـ عـلـيـهـ، أـلـيـسـ هـوـ الـقـائـلـ تـعـالـىـ: «وـفـيـ اـخـتـلـافـ الـلـيـلـ وـالـنـهـارـ وـمـاـ أـنـزـلـ اللـهـ مـنـ السـمـاءـ مـنـ رـزـقـ فـأـحـيـاـ بـهـ الـأـرـضـ بـعـدـ مـوـتـهـ وـتـصـرـيـفـ الـرـيـاحـ آـيـاتـ لـقـوـمـ يـعـقـلـوـنـ»⁶⁶، «يـؤـيـقـنـ الـحـكـمـةـ مـنـ يـشـاءـ وـمـنـ يـؤـتـ الـحـكـمـةـ فـقـدـ أـوـتـيـ خـيـراـ كـثـيـراـ وـمـاـ يـذـكـرـ إـلـاـ أـوـلـوـ الـأـلـبـابـ⁶⁷». وـالـعـدـيدـ مـنـ الـآـيـاتـ الـتـيـ تـكـوـنـ نـهـاـيـتـهاـ «أـفـلـاـ تـعـقـلـوـنـ»، «أـفـلـاـ تـذـكـرـوـنـ»، «أـفـلـاـ تـبـصـرـوـنـ»... فـلـلـعـقـلـ إـذـنـ فـيـ الـقـرـآنـ شـأـنـ كـبـيرـ وـمـقـامـ عـظـيمـ، وـمـنـ يـغـفـلـ نـعـمـةـ الـعـقـلـ فـكـأـنـاـ يـدـعـوـ إـلـىـ إـنـزـالـ الـإـنـسـانـ مـرـتـبـةـ الـحـيـوـانـ. لـذـلـكـ كـانـتـ السـعـادـةـ عـنـدـ ابنـ رـشدـ بـمـاـ هـيـ مـطـمـحـ إـنـسـانـيـ، بـلـ لـاـ إـنـسـانـ دـوـنـ سـعـادـةـ، وـبـالـتـالـيـ هـيـ جـوـهـرـ النـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ، مـرـتـبـةـ بـتـغـلـيـبـ الـفـكـرـ وـالـعـقـلـ عـلـىـ الـأـهـوـاءـ

62 ابن رشد، فصل المقال، تحقيق محمد عمار، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1978، ص 13-19

63 فـرـحـ أـنـطـوـنـ، ابنـ رـشدـ وـفـلـسـفـتـهـ، تـقـيـيمـ طـيـبـ تـيـزـيـنـيـ، دـارـ الـفـارـابـيـ، بـيـرـوـتـ، طـ1ـ، 1988ـ، صـ92ـ

64 ابن رشد، تهافت التهافت، نـقـلاـ عـنـ سـعـيدـ مـرـادـ، الـعـقـلـ الـفـلـسـفـيـ فـيـ الـإـسـلـامـ، عـيـنـ الـلـدـرـاسـاتـ وـالـبـحـثـ الـإـنـسـانـيـةـ، طـ1ـ، 2000ـ، صـ148ـ

65 ابن رشد، كتاب ما بعد الطبيعة، نـقـلاـ عـنـ فـرـحـ أـنـطـوـنـ، ابنـ رـشدـ وـفـلـسـفـتـهـ، مـ، صـ105ـ

66 سـوـرـةـ الـجـاثـيـةـ، الـآـيـةـ 5ـ

67 سـوـرـةـ الـبـقـرـةـ، الـآـيـةـ 269ـ

والحواس والشهوات، ولا يدركها إلا أعظم الرجال ممن اتصلوا بالله عن طريق العلم والمعرفة لا عن طريق الجهل والتقليد⁶⁸.

وعلى النهج نفسه، نحا ابن طفيل منحى مشابهاً، لكن هذه المرة بلبوس أدبية صوفية، فهو ي يريد أن يعيد الثقة بالإنسان وبقدراته عقله على الوصول إلى الحقيقة دون سند من القرآن، وفي قصته «حي بن يقطان» تتجلى رموز إنسانية ذات نزعـة كونـية؛ بدءـاً من اعـتنـاءـ الغـزالـةـ «ـبـحـيـ»ـ وإـرضـاعـهـ،ـ مماـ يـوـحـيـ بـذـلـكـ التـعـاطـفـ الـفـطـريـ بـيـنـ جـمـيعـ الـمـخـلـوقـاتـ الـحـيـةـ،ـ مـرـورـاـ بـعـمـلـيـةـ الـتـعـلـيمـ الـذـاتـيـ الـتـيـ يـكـتـسـبـهاـ «ـبـحـيـ»ـ دونـ مـعـلـمـ،ـ مـسـتـنـدـاـ فـيـ أـبـحـاثـهـ عـلـىـ مـعـطـيـاتـ الـحـوـاسـ وـمـبـادـئـ الـعـقـلـ الـفـطـرـيـةـ،ـ وـصـوـلـاـ إـلـىـ اـنـفـتـاحـهـ عـلـىـ الـعـالـمـ الـسـمـاـويـ،ـ مـسـتـمـداـ إـلـاهـاـ مـنـ إـشـرـاقـ الـعـقـلـ الـفـعـالـ الـذـيـ هوـ مـصـدـرـ الـعـلـمـ وـالـمـعـرـفـةـ،ـ مماـ يـوـحـيـ بـقـدـرـةـ الـإـنـسـانـ عـلـىـ الـمـعـرـفـةـ بـعـيـداـ عـنـ التـقـلـيدـ الـجـامـدـ.ـ وـفـيـ هـذـهـ الـقـصـةـ يـعـرـضـ اـبـنـ طـفـيلـ مـرـاحـلـ اـرـتـقاءـ الـإـنـسـانـ إـلـىـ دـرـجـةـ الـفـيـلـسـوـفـ الـكـامـلـ،ـ بـلـ دـرـجـةـ الـإـنـسـانـ الـكـامـلـ؛ـ لـأـنـ مـعـارـفـ «ـبـحـيـ»ـ لـمـ تـكـنـ مـوـقـوـفـةـ عـلـىـ حـدـودـ الـعـقـلـ وـحـدـهـ،ـ بـلـ تـتـعـدـاـ إـلـىـ الـقـلـبـ الـذـيـ يـسـتـقـبـلـ الـتـجـلـيـ الـإـلـهـيـ الشـامـلـ،ـ وـيـتـضـحـ ذـلـكـ عـنـدـمـاـ يـغـوصـ «ـبـحـيـ»ـ فـيـ أـعـماـقـ باـطـنـهـ وـيـجـدـ أـنـ النـورـ وـالـصـفـاءـ يـغـمـرـانـهـ،ـ وـيـدـرـكـ أـنـهـ لـاـ حـولـ لـهـ وـلـاـ قـوـةـ فـيـ إـدـرـاكـ حـقـيـقـةـ الـوـجـوـدـ وـمـوـجـدـهـ إـلـاـ بـإـعـانـةـ مـنـ خـالـقـهـ⁶⁹.

ومـاـ أـعـظـمـ رـمـزـيـةـ ذـلـكـ الـلـقـاءـ بـيـنـ «ـبـحـيـ»ـ وـ«ـأـبـسـالـ»ـ؛ـ فـقـدـ وـجـدـ أـبـسـالـ أـنـ مـاـ تـعـلـمـهـ مـنـ أـصـوـلـ الـعـقـيـدـةـ فـيـ جـزـيـرـةـ الـبـشـرـ مـعـرـفـ عـنـدـ حـيـ مـعـرـفـةـ أـكـثـرـ صـفـاءـ وـكـمـالـاـ،ـ وـقـدـ هـدـاـهـ الـعـقـلـ الـفـعـالـ إـلـىـ ذـلـكـ،ـ فـشـرـعـ أـبـسـالـ يـقـيـسـ مـنـقـولـهـ عـلـىـ مـعـقـولـ حـيـ،ـ وـتـبـيـنـ لـحـيـ أـنـ مـاـ وـرـدـ فـيـ الشـرـيـعـةـ مـطـابـقـ لـمـ شـهـدـهـ فـيـ مـقـامـهـ الـكـرـيمـ⁷⁰ـ.ـ وـتـزـدـادـ قـوـةـ تـلـكـ الرـمـزـيـةـ الـتـيـ يـعـرـضـ مـنـ خـلـالـهـ اـبـنـ طـفـيلـ حـالـ الـأـمـةـ الـعـرـبـيـةـ إـبـانـ سـيـطـرـةـ الـعـقـلـ الـفـقـهـيـ وـالـتـأـوـيـلـ الـرـجـعـيـ وـالـتـقـلـيدـ الـأـعـمـيـ،ـ عـنـدـمـاـ يـقـرـرـ الـاثـنـانـ «ـبـحـيـ»ـ وـ«ـأـبـسـالـ»ـ الـهـجـرـةـ إـلـىـ جـزـيـرـةـ الـبـشـرـ لـبـثـ أـسـرـارـ الـحـكـمـةـ،ـ إـشـفـاقـاـ مـنـهـمـ عـلـىـ حـالـ النـاسـ الـذـينـ يـعـرـضـونـ عـلـىـ أـمـرـ اللـهـ وـلـاـ يـأـخـذـونـ مـنـ الدـيـنـ إـلـاـ ظـاهـرـهـ⁷¹ـ،ـ لـكـنـ سـرـعـانـ مـاـ قـفـلـاـ عـائـدـيـنـ إـلـىـ جـزـيـرـهـمـ،ـ بـعـدـ أـنـ تـبـيـنـ لـهـمـاـ أـنـ شـرـوـحـهـمـ الـفـلـسـفـيـةـ لـلـعـقـيـدـةـ الـحـقـةـ،ـ وـكـشـفـهـمـ لـأـسـرـارـ الـحـقـيـقـةـ،ـ لـاـ يـقـابـلـ مـنـ طـرـفـ أـهـلـ الـجـزـيـرـةـ إـلـاـ بـالـنـفـورـ وـالـعـدـاوـةـ الـشـدـيـدـةـ⁷²ـ،ـ فـيـ إـشـارـةـ مـنـ اـبـنـ طـفـيلـ إـلـىـ أـنـ الـخـلـافـ بـيـنـ الـحـكـمـةـ وـالـشـرـيـعـةـ مـسـتـعـصـيـ الشـفـاءـ وـلـاـ مـخـرـجـ لـهـ،ـ فـكـانـ ذـلـكـ إـيـذـانـاـ بـعـصـرـ جـديـدـ،ـ هـوـ عـصـرـ إـجـهـاضـ النـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ وـأـفـوـلـ الـفـلـسـفـةـ الـعـرـبـيـةـ وـالـتـصـوـفـ الـإـسـلـامـيـنـ.

68 ابن رشد وفلسفته، م، ص 105

69 ابن طفيل، حـيـ بنـ يـقطـانـ، مؤـسـسـةـ هـنـدـاـويـ لـلـتـعـلـيمـ وـالـنـقـافـةـ، دـطـ، 2016ـ، صـ 36ـ -ـ 40ـ

70 نفسه، ص 51

71 نفسه، ص ص 52 - 53

72 نفسه، ص ص 53 - 54

خاتمة:

ترتيبيا على ما سبق، لا بد من التأكيد أننا لا نقصد من وراء هذا البحث في النزعـة الإنسـانية الإـسلامـية، أن نتغـنى بـأمجـاد أـسـلـافـنا وـنـجـتـرـ الذـكـرـياتـ التيـ منـ شـائـنـهاـ أـنـ تـدـغـدـغـ عـواـطـفـنـاـ،ـ وإـنـماـ نـرـيدـ أـنـ نـجـابـهـ مـرـكـبـ النـقـصـ الـذـيـ يـعـبـرـ عـلـيـهـ الـكـثـيـرـونـ مـنـ إـزـاءـ الـفـلـسـفـةـ الـغـرـبـيـةـ،ـ وـذـلـكـ باـسـتـرـجـاعـ الثـقـةـ فيـ أـنـفـسـنـاـ وـتـرـاثـنـاـ،ـ لـيـكـونـ ذـلـكـ حـافـزاـ لـنـاـ فـيـ خـلـقـ طـرـيقـ جـدـيدـ نـحـوـ نـهـضـتـنـاـ،ـ طـرـيقـ بـمـقـومـاتـ فـلـسـفـيـةـ اـسـلـامـيـةـ،ـ وـنـذـكـرـ أـصـحـابـ الـأـلـبـابـ أـنـهـ لـاـ يـجـوزـ لـنـاـ أـنـ نـنسـىـ أـنـنـاـ أـصـحـابـ حـضـارـةـ عـرـيقـةـ قـدـمـتـ الـكـثـيـرـ لـلـإـنـسـانـيـةـ.

كـماـ أـنـ التـوـاـصـلـ مـعـ النـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ فـيـ تـرـاثـنـاـ الـعـرـبـيـ الـإـسـلـامـيـ هوـ ضـرـورـةـ مـلـحـةـ تـمـلـيـهـاـ عـلـيـنـاـ طـبـيـعـةـ الـعـصـرـ الـذـيـ نـعـيـشـ فـيـهـ،ـ وـهـوـ عـصـرـ مـطـبـوـعـ بـالـثـقـافـةـ الـغـرـبـيـةـ مـنـ جـهـةـ نـتـائـجـهـ لـاـ مـنـ جـهـةـ أـسـسـهـاـ الـفـلـسـفـيـةـ،ـ فـكـانـ عـصـرـاـ يـطـغـيـ عـلـيـهـ الـجـانـبـ الـمـاـدـيـ بـسـبـبـ تـطـوـرـ الـعـلـمـوـنـ وـتـضـخـمـ الـنـزـعـاتـ الـعـقـلـيـةـ،ـ وـكـلـ ذـلـكـ تـمـ عـلـىـ حـسـابـ الـجـانـبـ الـرـوـحـيـ،ـ وـبـالـتـالـيـ فـالـعـودـةـ إـلـىـ الـتـرـاثـ فـيـ شـقـيـهـ الـفـلـسـفـيـ وـالـصـوـفـيـ هوـ فـيـ سـبـيلـ بـنـاءـ مـلـامـحـ الـإـنـسـجـامـ الـتـيـ كـانـ مـنـ الـمـمـكـنـ أـنـ لـاـ تـتـلـاشـيـ بـيـنـ الـجـانـبـيـنـ الـرـوـحـيـ وـالـمـاـدـيـ لـوـ كـتـبـ لـلـفـكـرـ الـإـسـلـامـيـ الـفـلـسـفـيـ وـالـصـوـفـيـ مـوـاـصـلـةـ الـطـرـيقـ دـوـنـ عـرـقـلـةـ مـسـارـهـ.

وـعـلـيـهـ،ـ فـمـوـقـعـنـاـ فـيـ الـفـتـرـةـ الـراـهـنـةـ،ـ يـدـفـعـنـاـ إـلـىـ أـنـ نـعـيـدـ اـكـتـشـافـ مـعـانـيـ الـإـنـسـانـ فـيـ ثـقـافـتـنـاـ لـتـكـونـ لـهـاـ فـعـالـيـتـهـاـ فـيـ تـكـوـيـنـنـاـ وـتـكـوـيـنـ عـقـولـنـاـ،ـ وـنـحـنـ الـمـنـهـرـونـ بـالـفـكـرـ الـغـرـبـيـ تـقـوـدـنـاـ طـرـقـهـ فـيـ الـمـعـرـفـةـ لـكـنـ لـاـ تـعـنـيـنـاـ الـنـتـائـجـ إـلـاـ بـالـقـدـرـ الـمـاـدـيـ مـنـهـ،ـ أـمـاـ أـنـ نـرـىـ بـعـيـونـهـ نـهـاـيـةـ الـطـرـيقـ الـذـيـ يـدـفـعـونـاـ فـيـهـ دـفـعـاـ،ـ فـإـنـاـ نـأـيـ ذـلـكـ،ـ وـكـأـنـاـ بـأـنـفـسـنـاـ لـاـ نـرـىـ طـرـيقـاـ مـخـتـلـفـاـ عـنـ طـرـيقـهـ،ـ فـنـمـنـيـ أـنـفـسـنـاـ بـالـوـصـولـ أـوـلـاـ إـلـىـ مـاـ وـصـلـوـاـ إـلـيـهـ وـفـيـ نـفـسـ الـطـرـيقـ قـبـلـ أـنـ نـفـكـرـ مـعـهـمـ وـبـنـفـسـ طـرـيقـتـهـمـ فـيـ سـبـلـ تـجـاـوـزـ الـعـقـبـةـ أـوـ فـتـحـ بـابـ فـيـ الـحـائـطـ الـمـسـدـودـ.ـ أـمـاـ الـنـهـاـيـةـ الـتـيـ نـشـيرـ إـلـيـهـاـ هـنـاـ،ـ فـهـيـ عـجـزـ الـنـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ الـغـرـبـيـةـ عـنـ مـوـاـصـلـةـ الـطـرـيقـ،ـ وـهـيـ الـتـيـ يـعـبـرـ عـنـهـاـ الـفـكـرـ الـمـعـاـصـرـ بـشـعـارـ نـهـاـيـةـ الـإـنـسـانـ⁷³ـ.

73* نـهـاـيـةـ الـإـنـسـانـ هـيـ الـمـقـولـةـ الـتـيـ خـتـمـ بـهـاـ مـيشـيلـ فـوـكـوـ كـتـابـهـ "الـكـلـمـاتـ وـالـأـشـيـاءـ"ـ سـنـةـ 1966ـ.ـ وـقـدـ أـتـخـذـ هـذـاـ التـارـيـخـ رـمـزاـ لـاـنـهـيـارـ الـنـزـعـةـ الـإـنـسـانـيـةـ الـغـرـبـيـةـ؛ـ وـالـمـقـصـودـ أـنـ الـخـطـابـ الـفـلـسـفـيـ عـنـ الـإـنـسـانـ بـوـصـفـهـ مـرـكـزاـ لـلـعـالـمـ قـدـ شـاخـ وـأـنـتـهـيـ مـفـعـولـهـ.ـ انـظـرـ: Michel Foucault, *Les Mots et Les Choses*, Editions Gallimard, Paris, 1966

*- المراجع العربية

إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد حسين غلوم، عالم المعرفة، 1999
إريك فروم، الإنسان بين المظاهر والجوهر، ترجمة سعد زهران، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، العدد 140، 1989

إبراهيم عبد الرحمن رجب، العلوم الاجتماعية: الوضع الراهن وآفاق المستقبل، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد 30، عدد 04، 2002

ابراهيم عاتي، الإنسان في الفلسفة الإسلامية نموذج الفارابي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993
أبو نصر الفارابي، كتاب السياسة المدنية الملقب بمبادئ الموجودات، تحقيق فوزي نجار، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، اصدارات 1998

أبو حامد الغزالى، المنقذ من الظلال والموصى إلى ذي الجلال، تحقيق محمد أبو ليلة وعبد الرحيم رفعت، جمعية البحث في القيم والفلسفة، واشنطن، 2001

أبو حامد الغزالى، تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، ط2، القاهرة، 1955
أنور مغيت، النزعه الإنسانية عند الفلاسفة المسلمين، دراسات في النزعه الإنسانية في الفكر العربي الوسيط، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، 1999

ابن رشد، فصل المقال، تحقيق محمد عمارة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1978
ابن طفيل، حي بن يقطان، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، 2016

سعيد مراد، العقل الفلسفى في الإسلام، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ط1، 2000
الشيخ عبد الكريم بن ابراهيم الجيلي، الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، تحقيق أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997

عبد الرزاق الدواي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفى المعاصر (هيدغر ستروس فوكو)، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1992

عبد الغفار مكاوى، مقدمة نداء الحقيقة، تأليف مارتن هيدغر، دار الثقافة، القاهرة 1977
علي عيسى عثمان، الإنسان عند الغزالى، تعریب خيري حماد، مكتبة الأنجلوالمصرية، دار الجيل للطباعة، د ط، دت.

عاطف أحمد، النزعه الإنسانية (دراسات في النزعه الإنسانية في الفكر العربي الوسيط)، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، ط2، 1999

فرح أنطون، ابن رشد وفلسفته، تقديم طيب تيزيني، دار الفارابي، بيروت، ط1، 1988
اللومون، فوكو مفكر الحداثة، ترجمة حسن أحجيج، موقع توفيق رشد للأبحاث والدراسات الفلسفية.

الكندي، إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى، تحقيق أحمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب، القاهرة، ط1، 1948

مارتن هييدغر، رسالة في النزعية الإنسانية، ترجمة مينة جلال، مجلة مدارات فلسفية، العدد6، الجمعية الفلسفية المغربية، 2008

محمد أحمد سليمان، هييدغر الوجود والموجود، إشراف عبد الحميد عطية، دار التنوير للطباعة، 2009
محمد أركون، نزعية الأننسنة في الفكر العربي، جيل مسكونيه والتوكيد، ترجمة هاشم صالح، دار الساقى، ط1، 1997

محمد الشيكري، هييدغر وسؤال الحداثة، إفريقيا الشرق، المغرب. دط، 2015
ميشيل هنري، الهمجية زمن علم بلا ثقافة، ترجمة جلال بدلة، دار الساقى، ط1، 2022
محمد عبد الرحمن مرحبا، الكندي وفلسفته، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1985
مروة حسين، النزعات المادوية في الفلسفة العربية الإسلامية، دار الفارابي بيروت، ط2، 2002
محمود حمدي زقزوق، المنهج الفلسفى بين الغزالي وديكارت، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1997

*-المراجع الأجنبية:

Martin Heidegger, Lettre sur L'humanisme, Questions III et IV, Traduit par Roger Munier, Gallimard, 1990

Martin Heidegger, BEING AND TIME, Trans John Macquarrie and Edward Robinson, Blackwell, Oxford. First English Edition, 1962

Michel Foucault, Dits et Ecrits 1980, Editions Gallimard, NRF, Paris, 1994

Michel Foucault, Les Mots et Les Choses, Editions Gallimard, Paris, 1966

Edgar Morin, Penser l'Europe, Editions Gallimard, actuel, Paris, 1992

Friedrich Nietzsche, The Gay Science, Edit Bernard Williams, Trans Josefina Nauckhoff, Cambridge university press, New York, 2001

 Mominoun

 MominounWithoutBorders

 @ Mominoun_sm

info@mominoun.com

www.mominoun.com

